Alive PDF Merger: Order full version from www.alivemedia.net to remove this watermark!

الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

المعهد: *الآداب* و اللغات
القسم: لغة وأدب عربي

المرجع:

الملامح الاجتماعية في سورة النساء دراسة بلاغية دلالية

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

إعداد الطالب(ة):
إيمان سقني

إشراف الأستاذ(ة):
جميلة عبيد

الشعبة : لغة عربية

التخصص:علوم اللسان العربي

السنة الجامعية : 2013/2012

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه ونعوذ بالله من شر أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ومن يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أتقدم بوافر الشكر والتقدير لأستاذتي مشرفتي الأستاذة " عبيد جميلة" أطال الله عمرها على ما منحتني من وقت وجهد وتشجيع، وعلى ما وفرته لي من مصادر ومراجع، وعلى ما قدمته لي من توجيهات وأفكار على مدار فترة البحث، فلها الثناء وخالص الدعاء، وأدامها الله ذخرا لهذا الدين، وجعلها الله منارة لخدمة القرآن العظيم.

إهداء

إلى من قال فيهما الرحمن { واخفض لهما جناح الذّل من الرّحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا } الإسراء 24.

إلى أبي وأمي اللذين أعتز وأفتخر بهما، وكان رضا الله في رضاهما وزاد مسيرتي دعاؤهما والديّ حفظهما الله.

إلى رفيقي في الحياة زوجي الغالي على إعانته وتشجيعه حفظه الله وأبقاه وجعل بيني وبينه من ودّ موصولا أبد الدهر.

إلى والديه الكريمين أطال الله عمرهما وأمدّهما بالصحة والعافية.

إلى أخي سفيان الأخ الثابت الإخاء وثيق النفس.

إلى أخي زياد وأختيّ إسمهان وإيناس

إلى قرّة عيني أختي الصغرى وجدان

إلى من سرتني معرفتهن صديقاتي وأخواتي في الدراسة: رقية ودلال

إلى كل الذين أشعلوا مصابيح العلم لتنير طريقي

إلى أساتذتي الأفاضل

إلى كل من مدّ لي يد العون من قريب أو بعيد.

خطة البحث:

_ مقدمة

_ مدخل:

أولا – إعجاز القرآن العظيم

ثانيا: تعريف سورة النساء

ثالثا: تسميتها

رابعا : ترتيبها في المصحف الشريف

خامسا: سبب النزول

سادسا: فضلها

سابعا:الوحدة الموضوعية

الفصل الأول: الملامح الاجتماعية في سورة النساء

المبحث الأول: الجانب العرفي

المبحث الثاني: الجانب الديني

المبحث الثالث: الجانب الأسري

المبحث الرابع: الجانب السياسي

الفصل الثاني: دراسة بلاغية دلالية 'علم المعاني'

_ تمهيد

1_تعريف البلاغة

-لغة

-اصطلاحا

2-تعريف الدلالة

-لغة

-: اصطلاحا

المبحث الأول: الخبر والإنشاء

مطلب1: الخبر

أولا: تعريف

ثانيا: أضربه

ثالثا: مؤكداته

مطلب 2: الإنشاء

أولا: الإنشاء غير الطلبي

ثانيا: الإنشاء الطلبي

1_ الأمر

2_ الاستفهام

3_ النهي

4_ التمني

5_ النداء

المبحث الثاني: الالتفات

_ تعريفه

مطلب1: الاتفات من التكلم إلى الغيبة

مطلب2: الالتفات من الغيبة إلى التكلم

مطلب 3: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة

مطلب4: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

المبحث الثالث: التقديم والتأخير

المبحث الرابع: الذكر والحذف

مطلب1: الذكر

مطلب2: الحذف

المبحث الخامس: القصر

1_تعريف

2_ طرقه:

أولا: القصر بالعطف

ثانيا:النفي والاستثناء

ثالثا:القصر بـــ (إنما)

رابعا: القصر بتقديم ما حقه التأخير

المبحث السادس: الفصل والوصل:

مطلب 1: الفصل

أولا_ كمال الاتصال

ثانيا_ شبه كمال الاتصال

ثالثا_ كمال الانقطاع

مطلب2: الوصل

المبحث السابع: الإيجاز والإطناب

مطلب 1: الإيجاز

_ تعريف

_ لغة

_ اصطلاحا

1_ الإيجاز بالحذف

2_ الإيجاز بالقصر

مطلب2: الإطناب

_تعريف

- لغة

- اصطلاحا

_أقسامه:

1_ وضع الاسم الظاهر موضع المضمر

2_ الإيضاح بعد الإبهام

3_ ذكر الخاص بعد العام

4_ التكرير

5_ التذييل

6_ التكميل

7_ التتميم

8_ الاعتراض

الفصل الثالث: البيان والبديع

المبحث الأول: البيان

تعريفه:

_ لغة

_ اصطلاحا

مطلب1: التشبيه

تعريفه:

_ لغة

_ اصطلاحا

أ/ التشبيه المرسل

ب/ التشبيه الضمني

ج/ التشبيه التمثيلي

مطلب2: المجاز

-أنواعه:

أ/ المجاز اللغوي

أ_1/ المجاز المرسل

_ علاقاته:

1_ السببية

2_ المسببية

3_ الجزئية

4_ الحالية

5_ المحلية

6_ اعتبار ما كان

7_ علاقة ما سيكون

8_ الآلية

9_ المجاورة

أ_2/ الاستعارة

_ تعريف

_ أقسامها

1_ الاستعارة التصريحية الأصلية

2_ الاستعارة التصريحية التبعية

3_ الاستعارة المركبة التمثيلية

4_ الاستعارة المكنية

ب/ المجاز العقلي

_ تعريف

ب_1/ الفاعلية

ب_2/ المفعولية

ب_3/ المصدرية

ب_4/ المكانية

ب_5/ السببية

مطلب 3: الكناية

_ تعريف

_ أقسامها

أ/ الكناية عن صفة

ب/ الكناية عن موصوف

ج/ الكناية عن نسبة

المبحث الثاني: البديع

_ تعريف

_ لغة

_ اصطلاحا

مطلب1: المحسنات البديعية المعنوية

1_ الطباق

أ/ طباق الإيجاب

ب/ طباق السلب

2_ المقابلة

3_ التورية

4_ التوجيه

5_ المشاكلة

6_ مراعاة النظير

مطلب 2: المحسنات البديعية اللفظية

1_ الجناس

أ/ الجناس التام

ب/ الجناس غير التام

2_ السجع

3_ رد العجز على الصدر

- خاتمة
- قائمة المصادر والمراجع
- الفهرس

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على من شرفه ربّ العالمين بما تنزل به الروح الأمين على قلبه بلسان عربي مبين ليكون نذيرا ورحمة للعالمين وبعد:

القرآن كلام الله المعجز، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، فهو معجزة خالدة تشتمل على كثير من الأساليب الرائعة فلا أحد يستطيع أن يأتي بمثله مستمر إلى يوم القيامة.

كما أنه مصدر للأحكام والشرائع، وتعليمه فرض على كل مسلم ومسلمة وحفظه واجب على كل أمة، فلابد على كل مسلم أن يبني حياته عليه عن أراد السعادة والنجاة في الدارين.

ولا يمكن تحصيل فهم مضمونه إلا بالدراسة العميقة للغته التي نزل بها لقوله تعالى: {إنا أنزلناه قرآن عربيا لعلكم تعقلون}سورة يوسف الآية 02.

وبهذا فإن اللغة العربية توضع في درجة سامية، وتعليمها يساعد على فهم حقائق القرآن، وعلى كل مسلم أن يتدبر القرآن الكريم تفصيلا، ويتفكر فيه عميقا، وهذا لقوله تعالى: {أفلا يتدبرون القرآن، أم على قلوب أقفالها}سورة محمد الآية 24.

ودراسة القرآن من أعظم الدراسات حيث تتضمن العلوم المختلفة والواسعة التي تؤدي بالدارس إلى الدهشة والتعجب من روعة التعابير والأساليب العديدة والمتنوعة.

لقد كان من نعم الله تعالى عليّ أن جعل في نفس الرغبة لدراسة القرآن العظيم لما لي من ميل لهذه الدراسة، واختيار أي جزء من القرآن ليكون موضوع البحث والدراسة أمر شديد الصعوبة لأن القرآن ليس فيه فاصل وأفضل وبليغ، وأبلغ، بل القرآن كله على حد سواء من أوله إلى آخره فضلا وهديا وبلاغة وإعجازا فحيثما وجهت بصيرتي وجدت نورا يهدي، ودلالة تقود وتوصل إلى معرفة ما منّه الرحمان علينا من خيرات في الدنيا والآخرة.

وهذا ما دفعني إلى اختيار وكتابة هذا الموضوع، واختياري سورة النساء لأنها من السور الطوال، ولما بها من كثير من مظاهر لتنظيم المجتمع المسلم في عباداته ومعاملاته، وما تحمله من دفاع لحقوق الضعفاء من النساء واليتامى، كما اختصت بعلم المواريث، كل ذلك لفتني إلى هذه السورة لأجد فيها متعة كبيرة زاد في روعتها معرفة الأساليب التي تتضمنها من معانٍ وبيانٍ وبديع.

وعلى هذا الأساس قد شغل فكري بعض الأسئلة نذكرها:

-ما هي مختلف الملامح الاجتماعية التي تتضمنها سورة النساء؟

-ما هي مختلف الأساليب البلاغية من معانٍ وبيانٍ وبديع التي تحتويها آيات هذه السورة العظيمة؟

- وما دلالتها؟

وفي دراستنا هذه اعتمدنا على منهج والذي هو المبدأ الأساسي الذي استخدمناه في هذا البحث وهو المنهج الوصفي، وذلك أنه يهتم بوصف الظاهرة -ظاهرة قرآنية- وصفا دقيقا لنتوصل به إلى تحليل الآيات ومعرفة الملامح والأساليب المتضمنة داخلها.

وعلى الرغم من مواجهة بعض الصعوبات التي صادفتنا كقلة المصادر والمراجع وكذا ضيق الوقت، لأن المدة الزمنية كانت قصيرة أدت بنا إلى الإسراع الكبير غير أننا أتممنا هذه الدراسة بعون الله عزّ وجلّ.

كما استعنا في دراستنا هذه على بعض المصادر والمراجع التي كانت بمثابة المنهل المساعد لتحديد سبل هذه الدراسة وأهمها: كتب التفسير على مختلف مناهجها مثل: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" للأولوسي، " تفسير التحرير والتنوير" لمحمد الطاهر عاشور، " الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" للزمخشري، كما اعتمدت على كتب بلاغية مثل: " مفتاح العلوم" للسكاكسي، "الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع" للخطيب القزويني، "أساس البلاغة" للزمخشري، "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها" لعبد الرحمان حسن حبنبكه الميداني، وقد أثبتنا جميع هذه المصادر والمراجع في ثبت مفصل في آخر هذه الدراسة.

ورغم أن هناك الكثير من الدراسات القرآنية لسورة النّساء التي وجدناها مثبوتة في الكتب، إلا أننا ارتأينا أن تقوم هذه الدراسة على سورة النساء، ودراسة مختلف الأساليب البلاغية من معانٍ وبيانٍ وبديع، وليس أسلوبا واحدا فقط وذلك لإعطاء صورة عامة حول ما تتضمنه هذه السورة من ملامح اجتماعية وأساليب بلاغية.

وقد قسّم البحث إلى أربعة فصول، تقدمها مقدمة ومدخل وتليها خاتمة.

المدخل تحدثنا فيه عن إعجاز القرآن العظيم، وتعريف سورة النساء وتسميتها،و ترتيبها في المصحف الشريف، ومناسبة نزولها، وفضلها، والوحدة الموضوعية للسورة الكريمة.

أما الفصل الأول يكشف عن الملامح الاجتماعية التي تتضمنها السورة، وقسمت إلى أربعة جوانب: عرفي، ديني، أسري، سياسي.

والفصل الثاني اشتملت مباحثه على دراسة المعاني في السورة وهي: الخبر والإنشاء، الالتفات، التقديم والتأخير، الذكر والحذف، القصر، الفصل والوصل، الإيجاز والإطناب.

أما الفصل الثالث فقد قسم إلى مبحثين: البيان والبديع، وتحت كل منهما مطالب، الأول: التشبيه، المجاز، والكناية، والثاني: محسنات بديعية معنوية، ومحسنات بديعية لفظية.

مدخـــــــل:

أولا -إعجـــاز القرآن الكريـــــم:

إن خير الكتب المنزلة على أفضل رسل الله المشرفة هو القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ولقد جاء محمد صلى الله عليه وسلّم بالقرآن الكريم يدعو به إلى ترك عبادة الأوثان وما اعتاده الناس في حياتهم الاجتماعية والدينية والاقتصادية من عادات سيئة مخلة بالدين الحنيف.

فلا شك أن علوم التفسير خاصة وباقي علوم القرآن على وجه العموم قد اكتسبت أهميتها من أهمية أصلها ومصدرها ألا وهو الكتاب المنير المنزل من خالق البشر العظيم وربهم الكريم. فالقرآن هو كتاب الله العظيم وكلامه الفريد الذي أنزله على محمد صلّى الله عليه وسلّم باللفظ والمعنى بواسطة أمين الوحي جبريل عليه الصلوات والتسليم. وهذا الكتاب –القرآن الكريم– هو المتعبد بتلاوته المعجز عن الإتيان بأقصر سورة من مثله المنقول إلينا نقلا متواترا، المكتوب في المصاحف، المحفوظ في الصدور، المقروء بالألسنة، المسموع بالآذان.

فهو أساس الدين المتين، جمع كل شيء وتضمن كل علم فيه من شرائع، وأحكام وأدب، وأمثال، وتاريخ، ومواعظ. ما ترك صغيرة ولا كبيرة إلاّ وأحصاها.

وتكمن معجزة القرآن في أن نصوصه التي جاءت لتوجه أحوالا بعينها في زمن النبوة، هي الوقت نفسه عامة توجه الجماعة الإنسانية في أي طور من أطوار الحياة فهو صالح لكل مكان وزمان قديما وحديثا.

فالقرآن صلة بين الله تعالى وبين خلقه، كالحبل المتين من يتمسك به يصل إلى بيت الخلود كما جاء، في قوله تعالى: { واعتصموا بحبل الله جميعا } سورة آل عمران الآية 103.

"وقيل﴿ بِحَبْلِ الله﴾ أي بعهد الله، ما قال في الآية بعدها: { ضُرِبَتْ عليهم الذلة وَأَيْن ما ثُقِفُوا إلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ منَ النَّاسِ }آل عمران الآية 112، أي بعهد وذمة، وقيل:﴿بِحَبْلِ الله﴾ يعني القرآن، كما في حديث الحارث الأعور عن علي مرفوعا في صفة القرآن: "هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم"[1].

وعن ابن شريج الخزاعي أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "إنّ هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به"[2].

ويعني هذا القول بأن القرآن الكريم هو بمثابة الحبل الذي يصل بين المخلوق وخالقه، ويوطد العلاقة بينهما فبواسطته يمكن للمخلوق أن يطّلع على صفات الخالق وقدراته، فكلما اقترب الإنسان من القرآن وزاد اطلاعا عليه نُظمت حياته ويُسّرت له سبله وارتفعت منزلته عند الله سبحانه وتعالى ونال به الثواب والمغفرة.

والقرآن ليس مقصورا على زمن أو مكان معين فهو: "دستور الله الخالد للبشرية جميعا، وهو صانع التراث، ومصدره الأكبر" والمنبع في إمداد الثروة اللغوية" [3]. وهذا يعني أن القرآن الكريم مصدر التراث الديني، وينبوع الفكر الإسلامي. مميزا بالفصاحة والبلاغة والبيان.

إنّ المتأمل في المصحف الكريم وفي سوره وأجزائه، وتماسك كلماته وجمله، وآياته، مبلغا لا يدانيه فيه كلام آخر وتميز آياته بإعجاز فصحاء العرب وبلغائهم حيث أذهل عقول الناطقين بلغة الضاد حتّى أصبح دستورهم ومرجعهم وهاديهم إلى طريق الهداية والنور والرشاد بأسلوبه الأخاذ ولما احتواه من سلاسة في العبارة وعذوبة في اللفظ وعمق في المعنى، فالقرآن أبلغ الكتب وأقدسها وأعظمها جزالة وحكمة وفصاحة فقد

---

[1]– ابن كثير الدمشقي، مختصر تفسير بن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، دار الجيل، برقيا– بيروت، الطبعة الأولى، 368/1.

[2]– عبد الرحمان بن إسماعيل بن إبراهيم، إبراز روح المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، ص 13.

[3]– إبراهيم منصور محمد الياسين، استيحاء التراث في الشعر الأندلسي، عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، 2006، ط1، ص 17.

خلدت اللغة العربية الفصيحة بفضل القرآن العظيم الذي نزل بها وستبقى هذه اللغة –اللغة العربية– خالدة مع خلود الكتاب الرّباني.

فهذا الكتاب فيه اتساق يبهر العقول، ونظاما والتئاما، واتقانا وإحكاما ومع أنّه لم ينزل دفعة واحدة إلاّ أنّه كان محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال والالتحام بين سوره وآياته، وهذا التآلف والاتساق كله سر من أسرار الإعجاز القرآني الذي هو كلام الله.

ولقد عجز العرب عن الإتيان بمثله وذلك بما في القرآن من بلاغة، "فهو عجيب لا يتفاوت على ما يتصرف فيهمن الوجوه: من قصص، ووعظ، واحتجاج، وحكم، وأحكام، ووعد، وعيد، ووصف وتعليم أخلاق كريمة، وغير ذلك ممّا حواه القرآن، بينما نجد كلام البليغ الكامل، والشاعر المفلق والخطيب المصقع يختلف باختلاف الأغراض، فمنهم من يجيد في الوصف. دون الغزل ومن يحس والآخر إذا رغب والآخر إذا طرب ونظمُ القرآن فلا انحطاط في جميع ما يتصرف فيه عن المنزلة العليا ولا اسقاط فيه إلى المرتبة الدنيا[4].

وقال منهم قائل: "إنك قد أغفلت فيما رتبت، فإن لنا طريقا إلى إعجاز القرآن غير ما قلت، وهو علمنا بعجز العرب عن أن يأتوا بمثله وتركهم أن يعارضوه، مع تكرار التحدي/ عليه، وطول التقريع لهم بالعجز عنه"[5].

فلقد تحداهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يأتوا بمثله لقوله تعالى: { قُلْ لَئِنْ اجتمعت الإِنْسُ والجِنُّ عَلَى أَنْ يأتوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآَنِ لاَ يأتون بِمِثْلِهِ ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراَ}الإسراء 88.

فتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله لقوله تعالى: {أَمْ يقُولُونَ افتراهُ قُلْ فأتوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وادعوا مَنْ استطعتم من دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }هود 13.

---

[4]– أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضه مصر، مارس 2005– الجيزة– القاهرة، ص 47– 48.

[5]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة 2004، ط5، ص 09– 10.

فعجزوا عن ذلك فتحداهم مرّة أخرى بإتيانهم سورة واحدة في قوله تعالى: { فأتوا بسُورةٍ منْ مثْلِه وادعوا شُهَدَاءَكُمْ منْ دُونِ الله إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فإِنْ لمْ تفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ التّي وُقُودُهاَ النَّاسُ والحِجَارَةُ أُعِدَّتْ للكافرين}سورة البقرة 23– 24.

إن كتاب الله العظيم بمثابة العقد النفيس الذي لا يقدر بثمن ولا يوجد له مثيل(فلقد نظمت ورتبت آياته وسوره أبدع ترتيب فكان بذلك معجزا بنظمه، بديعا في اتساقه، ويتميز أسلوب القرآن في اختيار ألفاظه وتراكيبه، ودلالاته فكل لفظة من ألفاظه وضعت في مكانها المناسب لتؤدي وتوفي نصيبها من المعنى حيث نرى أن هناك تدقيقا في وضع الألفاظ واستعمالاتها "ففي قوله تعالى: {وإذ نجَيْنَاكُم مِنْ آلِ فِرْعَوْنِ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاَءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ }سورة البقرة 49.

حيث نرى في الفعل (ذبّحَ) المضعفة العين دلالة على كثرة القتل في أبناء إسرائيل وهذا الفعل صوّر لنا شدّة القتل حيث أمر فرعون بقتل كل ذكر يولد بعد ذلك)[6] .

فإذا قمنا بتغيير كلمة ذبّحَ بكلمة أخرى فهذه الأخيرة لن توفي المعنى الذي وفت به ذبَّحَ المضعفة مثل كلمة قتل لا تدل على المعنى الذي أتت به ذبّح فهي تدل على كثرة الذبح والقتل، فكلمة ذبّح وضعت في مكانها المناسب وكانت أقوى أداء.

وفي قوله تعالى: { إنا نخافُ منْ ربِّنَا يَوْما عَبُوسا قَمْطَرِيرَا(10) فَوَقَاهُمْ الله شَرَّ ذَلِكَ اليَوْمِ، ولَقَّاهُمْ نَضرَة وسُرُرا} سورة الإنسان 10– 11.

(نجد أن كلمة (عبوسا) قد استعملت أدق استعمال وذلك تصويرا وإظهارا لنظرة الكافرين إلى يوم الدين حيث سيجدون ذلك اليوم أشد اسودادا من اليوم الذي يفقد فيه الإنسان الأمل والرجاء في الحياة، أمّا قمطريرا فهي تشعرنا بثقل هذا اليوم وفي كلمتي نضرة، سرورا تعبير وإيحاءٌ عن مدى فرحة المؤمنين التي تظهر على وجوههم

[6]– ينظر: أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص 52.

ومظهرهم الحسي وما يبدو عليهم من إشراقٍ وعمّا يملأ قلوبهم من فرحة وبهجة وسرور لا يوصف)[7].

فالألفاظ في القرآن الكريم تتميز بدقة التأليف وإحكام الوضع وجمال التصوير وشدة الملائمة كما وصفها مصطفى صادق الرافعي في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية بقوله: "ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها وتصف الآخرة فمنها جنتها وصرامها...."[8].

أمّا في الجملة فنجدها "قد تكونت من كلمات وألفاظ مختارة، متسقة، فلا ضعف في تأليف، ولا تعقيد في نظم، لكن حسن في التنسيق، ودقة في الترتيب للمعنى والأفكار والدلالات، فإذا جاء فيها تقديم أو تأخير، أو حذف في الألفاظ لا نعتبر هذا صناعة لفظته فقط ولكن المعنى هو الذي يجعل ترتيب الآية في حدّ ذاتها أو الآيات فيما بينها ملزمة باستخدام تلك الصناعة"[9].

ويقول مصطفى عن البلاغة في القرآن: "فكأنما البلاغة فيه إنما هي وجه من نظم حروفه بخلاف ما أنت واحد من كلام البلغاء، فإن بلاغته إنما تصنع وتُبنى عليه"[10].

كما تحدث عن المعاني والبيان في الكتاب العظيم في قوله: "ومعانٍ بينا هي عذوبة ترويك من ماء البيان، ورقةٌ تستروح منها نسيم الجنان،... وبينا هي ترف بندى الحياة على زهرة الضمير، وتخلق في أوراقها من معاني العبرة معنى العبير،...وتمثل للمذنب حقيقة الإنسانية حتى يظن أنّه صنف آخر من الإنسان"[11].

ولقد قسم القرآن الكريم إلى سورٍ تتمثل في مائة وأربعة عشر سورة سميت كلّ سورة باسم خاص، وقد تكون ذات موضوع واحد لا يتجاوزه مثل كثير من السور

---

[7]– ينظر المرجع نفسه، ص 52.

[8]– مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1425هـ، 2005م، ص 23.

[9]– أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص 85.

[10]– مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 146.

[11]– المرجع السابق، ص 23.

القصيرة، كسورة النبأ، والنازعات، والانشقاق، وأنها تتحدث عن اليوم الآخر، سورة الفيل: تتحدث عن ما حدث لأصحاب الفيل، سورة قريش التي تتحدث عن ما أنعم الله به على قريش من نعمة وألفة، وقد تتناول السورة أغراضا شتّى، مثل معظم سور القرآن الكريم، وخاصة السور الطوال وهذا الارتباط كله يصبو إلى شيء واحد وهو الصلة القوية والمتينة بين آياته وأفضل مثال على ذلك سورة النساء، وهي محور بحثنا.

والآن نتطرق إلى الحديث عن سورة النساء. وإعطاء لمحة عن ماهيتها وتعريفها وخصائصها.

ثانيا – تعريف سورة النساء:

سورة النساء من بين السور الطوال والتي قال في فضلها أبو عبيد: حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: {ولقد أتيناك سَبْعا من المثاني} (الحجر: 87) قال: هي السبع الطول: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام، والأعراف ويونس"[12].

والنساء سورة مدنية عدد آياتها ستّ وسبعون ومائة، "ولكن قد اختلفت الرواية عن ابن عباس هل هي مكية أو مدنية، والصحيح: أنّها مدنية إلاّ قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ يَأمُرُكُم أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَات إِلَى أَهْلِهَا} النساء/ 58، فإنّها نزلت بمكّة، حيث أراد النبيّ صلى الله عليه وسلّم أن ينزع مفاتيح الكعبة من عثمان بن طلحة الحجبي فيسلمها إلى العباس"[13].

وقد روي شعبة عن قتادة ويزيد النحوي عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن قال: قال قتادة: (إنّ الذي انزل بالمدينة، البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة،....)[14].

---

[12]– ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، حقق أصوله طه عبد الرؤوف سعد، شرح أحاديثه، عبد الله المنشاوي، دار الاعتصام، القاهرة، 76/1، 77.

[13]– الحافظ عزّ الدين عبد الرؤوف بن رزق الله الرسعني الحنبلي: رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهنس، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط1، 2008، 406/1.

[14]– أبو بكر بن الطيب الباقلاني: الانتصار للقرآن، تحقيق: محمّد عصام القضاة، دار الفتح، عمان– الأردن، ط1، 2001، 1/ 248.

"إنّ أوّل ما نزل بالمدينة: سورة البقرة، ثمّ الأنفال، ثمّ آل عمران، ثمّ الأحزاب، ثمّ الممتحنة، ثمّ النساء،...."[15].

"وفي أفراد البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: "ما نزلت سورة البقرة والنّساء إلاّ وأنا عند النبيّ صلى الله عليه وسلّم، كان دخوله بها في المدينة"[16].

ثالثا- تسميتـــــها:

عنيت سورة النساء بشكل كبير بما يخص جانب التشريع "وقد تحدثت السورة الكريمة عن أمور هامة تتعلق بالمرأة، والبيت، والأسرة، والدولة، والمجتمع، ولكنّ معظم الأحكام التي وردت فيها كانت تبحث حول موضوع النساء، ولهذا سميت بـــ"سورة النساء"[17].

فهذه السورة قد عنيت بالمرأة عناية صانت كرامتها، وحفظت لها كيانها ودافعت عنها في العديد من الأمور كقضية "الميراث" مثلا، فقد كانت العرب في الجاهلية من شدّة قسوتهم وجبروتهم يحرمون الضعفاء من النساء والصبيان، ويمنعونه عنهم، يعتبرون الميراث حقا من حقوق الرجال الأقوياء، لأنّهم أهل الحرب والقتال، والقادرين على النّهب والسّلب"[18].

رابعا – ترتيبهـــا في المصحـــف الشريـــــف:

قال عثمان: "إنّ السورة والقصة والآية كنّ إذا نزلن على النبي صلى الله عليه وسلّم قال لبعض ما يكتب الوحي: (ضعوها إلى مواضع كذا، وإلى جنب كذا)[19].

---

[15]– بدر الدين محمّد بن محمّد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، تونس، 2006، ص137.

[16]– الحافظ عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني الحنبلي، رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، ص406.

[17]– محمّد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت–لبنان، الطبعة الرابعة، 1981، 256/1.

[18]– ينظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار ابن حزم، بيروت– لبنان، ط1، 2005، ص148.

[19]–أبو القاسم إسماعيل بن محمّد بن الفضل القرشي الأصبهاني: إعراب القرآن، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض– السعودية، 1995، ص21.

لقد رتبت سورة النساء كما جاء في المصحف الشريف برواية ورش بعد سورة آل عمران، وهي السورة الرابعة بعد الفاتحة والبقرة، وآل عمران على الرغم من نزولها بعد سورة الممتحنة كما ذكرنا من قبل.

خامسا- سبـــــب النـــــزول:

عند قراءة سورة النساء نجد أنّ الله سبحانه وتعالى قد افتتحها بخطاب الناس جميعا، ودعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فنجده قائلا: {يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم الذي خَلَقَكُم منْ نَفس وَاحِدَة وَخَلَقَ منهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ منْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً واتَّقُوا اللهَ الذي تسَّاءَلُونَ بهِ والأَرْحَام إنَّ اللهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقيبَا} النساء/ الآية1 .

ففي الحقيقة نجد سورة النساء قد تعددت آياتها كثيرا، ممّا أدّى ذلك إلى تعدد مناسبات النزول، وهذه المناسبات التي تدور غالبا حول "النساء"، وما يتلقونه من الظلم والإهانة من قبل أزواجهنّ والمجتمع القاسي الذي تعيش فيه، فقد "تحدثت السورة الكريمة عن حقوق النساء والأوصياء، فقررت حقوقهنّ في الميراث والكسب والزواج، واستنفذتهنّ عسف الجاهلية وتقاليدها الظالمة المهينة"[20].

فسورة النساء تتضمن جميع أحكام الأسباب التي بين الناس، كالنسب والصهر، وما تعلق بأحكام الأموال والفروع والمواريث.

فهذه السورة قد صانت المرأة المسلمة، وحفظت حقوقها باعتبارها كائنا حيّا له كرامته وعزّته في هذه الحياة، فبينت لها حقوقها وواجباتها اتجاه زوجها، والحدود التي يجب الوقوف عندها، كما جاء ذلك في الآية (22) حتى نهاية الآية (31) {ولاَ تَنْكِحوا ماَ نَكَح آباؤُكُم...وندخلكم مُدخَلاً كَريما}

كما انتقل إلى إرشاد المؤمنين بطاعة الله ونبيّه الأكرم، وأداء الأمانات والحكم بالعدل بين النّاس، وذكر صفات المنافقين التي ينبغي الحذر منها والبعد عنها، وبعد ذلك تأتي آيات أخرى تذكر أحكام القتل الخطأ والقتل العمدي والثواب، والجهاد في سبيل الله،

[20]- محمّد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 256/1.

كما نجد فيها (بيانا لضلالات النصارى في أمر المسيح عيسى بن مريم) [21]، وبأنّ الله لا يخفى عليه شيء، وبأنّه فوق كلّ تدبير.

سادسا-- فضلـــــها:

قال العوفي: عن ابن عباس: نزلت سورة النساء بالمدينة، وقال عبد الله بن مسعود: إنّ في سورة النساء الخمس آيات ما يسرني في أنّ ليس بها الدنيا وما فيها: { إنّ الله لاَ يَظلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّة} ،{إنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَونَ عَنْهُ } و{إنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ماَ دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء } و {وَلَوْ أَنَّهُم إذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم جاءوكَ }الآية ،وقوله {وَمَنْ يَعْمَل سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يجِد اللهَ غَفُورا رَحيمًا}[22].

وروى من طريق صالح المري عن قتادة عن ابن عباس قال: ثماني آيات نزلت في سورة النساء هي خير لهذ ه الامة مما طلعت عليه الشمس اولاهن { يريد الله ليبين لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم } (النساء26)و الثانية {والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما } (النساء27)و الثالثة {يريد الله ان يخففعنكم و خلق الانسان ضعيفا } (النساء28)ثم ذكر قول ابن مسعود سواء يعني في الخمسة الباقية"[23]

سابعا- الوحـــــدة الموضوعية:

يعني بالوحدة الموضوعية أنّ كلّ سورة لها وحدة موضوع، من أوّل آية إلى آخر آية مثل سورة النبأ التي تتحدث كلّها عن اليوم الآخر، وسورة قريش التي تتحدث عن ما أنعم الله به على قريش من نعمة وألفة، أمّا سورة النساء فنجد فيها مواضيع وأغراض شتى: كالنكاح، الطلاق، الميراث، الحكم بالعدل، أحكام القتل الخطأ والقتل العمدي، الثواب، الجهاد، وكثير من المواضيع.

---

[21]– ينظر: المرجع السابق، 257/1.

[22]– ابن كثير الدمشقي: مختصر تفسير ابن كثير، 1/ 428.

[23]-ابن كثير الدمشقي،تفسير القرآن العظيم ،587/1

وهكذا تأتي سورة "النساء" بكاملها بين أمر ونهي، وحثّ وإرشاد، وغيرها من الأحكام الأخرى التي تهدف إلى ضبط المجتمع، وتنظم حياة الفرد المسلم، إنّ سورة "النساء" قد عنيت بالمرأة عناية شديدة فقد دافعت عنها في الكثير من الأمور والقضايا، وباعتبار المرأة فردا من أفراد المجتمع ولها مكانة راقية فيه، فهذه السورة تتحدث عن نظام اجتماعي، وهذا النظام لا يستقر إلاّ إذا كان هناك انسجام بين أطرافه والتحام بينها.
ومن هذا نلاحظ أنّ لكلّ سورة شخصية وصورة مميزة، أي ذات سمات مميزة وملامح خاصة، ولها موضوع رئيسي أو عدة مواضيع رئيسية تصبو في الأخير إلى محور خاص.

الفصل الأول:

"الملامح الاجتماعية في سورة النّساء"

المبحث الأول: الجانب العرفي

المبحث الثاني : الجانب الديني

المبحث الثالث:الجانب الأسري

المبحث الرابع: الجانب السياسي

الملامح الاجتماعية في سورة النساء:

عند قراءتنا لسورة النساء وتصفحنا بعضا من التفاسير لمعرفة معاني آيات هذه السورة الكريمة وجدنا أنها تعالج لنا الكثير من القضايا الاجتماعية الدينية، والسياسية. وكلها تسعى إلى بناء مجتمع إسلامي قائم على أسس وعقائد دينية، تخرجه من وحل الفاحشة إلى طريق معبدة وسليمة.

حيث تظهر لنا فيها ملامح المجتمع الجاهلي، من خلال أوامر ربّ البشرية وتوجيهاته ونواهيه، كما نستطيع أن نتبين الملامح الجديدة التي يريد أن ينشئها في المجتمع الجديد. وهذه سمة القرآن العظيم أن كل نصوصه التي جاءت لتوجه أحوال الناس في زمن النبوة، وهي في الوقت نفسه عامة توجه الجماعة الإنسانية في كل طور من أطوار الحياة، فهو صالح لكل زمان ومكان قديما وحديثا. وفي بحثنا هذا قمنا بتقسيم دراستنا بهذه المظاهر إلى عدة جوانب متمثلة في الجانب العرفي،الجانب الديني،الجانب الأسري،الجانب السياسي.

المبحث الأول:الجانب العرفي:

العرف هو ما ألفه المجتمع الجاهلي وأصبح عندهم عادة غير أن هذه الأخيرة لا توافق حكم الشريعة والدين،فنزول هذه الآيات سعي إلى تطهير المجتمع المسلم من رواسب الجاهلية في الفرد والجماعة. ومثال ذلك في قوله تعالى: { يا أيُّها الذِّين أُمنوا لاَ يَحِلُ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النّسَاءَ كَرْهَا ولاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذهَبُوا بِبَعْضِ مَاء أَتَيْتُمُوهُنَّ إلاَّ أَن يْأتين بفاحِشَة مُبَينَةٍ وعاشِرُوهُنَّ بالمَعْرُوفِ فإنَّ كَرِهتموهُنَّ فعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئَا ويَجْعَلُ الله فِيه خَيْرًا كَثِيرًا } الآية:19.<<فلقد روى البخاري عن ابن عباس: { يَا أيُّها الذين آمنُوا لا يَحلُّ لكم ترثُوا النّسَاء كِرْها }، قال:كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأة، إن شاء

بعضهم تزوجها وان شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية>>[1]

وكما جاء أيضا في تفسير البغوي أن هذه الآية <<نزلت في أهل المدينة كانوا في الجاهلية في أول الإسلام إذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة وعلى خبائها، فصار أحق بها من نفسها ومن غيرها، فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الأول الذي أصدقها الميت، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها، وإن شاء عضلها ومنعها من الأزواج يضارها لتفتدي منه بما ورثته من الميت، أو تموت هي فيرثها، فإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل أن يلقى عليها ولي زوجها ثوبه فهي أحق بنفسها، فكانوا على هذا حتى توفي أبو قيس ابن الأسلت الأنصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن الأنصاري، فقام ابن له من غيرها يقال له حصن، وقال مقاتل بن حيان: اسمه قيس بن أبي قيس، فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها، ثم تركها ولم ينفق عليها، يضارّها لتفتدي منه، فأتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إن قيس توفي وورت نكاحي ابنه فلا هو ينفق علي ولا يدخل بي ولا يخلي سبيلي، فقال:<< أقعدي في بيتك حتى يأتي فيك أمر الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية: { وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وءاتيتم أحدهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتاناوإثمًا مبينًا}الآية 20>>[2].

(فلقد كانت المرأة في الجاهلية: تعاني من الظلم والقهر وتوضع موضعا غير كريم، كما تعامل بالعسف والجور، في كل أطوار حياتها، وتحرم من الميراث وتسلب مهرها، أوتنكح بغير مهر)[3].

[1] ابن كثير: كختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط1، 445/1.
[2] البغوي، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعه ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، 1409 ه، 185/2،186.
[3] أنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة ، ط1، 1972م، 558/4.

أما عن اخذ الصداق وسلبها حقها ما جاء في قوله: { وكَيْفَ تأْخُذُونهُ وقدْ أفْضى بعْضُكمْ إلى بَعْضٍ وأخَذْنَ مِنْكُمْ ميثَاقًا غَليظًا}الآية 21.

قال فيها << الشعبي وعكرمة: هو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: <<اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله تعالى واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى>>[4].

<< ولما خطب عمر بن الخطاب عندما نهى عن المغالاة في الصدقات، قالت له امرأة من قريش بعد أن نزل " يا أمير المؤمنين كتاب الله أحق أن يتبع أو قولك" قال << بل كتاب الله إيم ذلك؟ >> قالت: إنك نهيت الناس آنفا أن يغالوا في صداق النساء والله يقول في كتابهِ<<وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا>> فقال عمر<<كل أحد أفقه من عمر>>.وفي رواية قال<<إمرأة أصابت وأميرٌأخطأ و الله المستعان>>ثم رجع إلى المنبر فقال <<إنيَ كنت نهيتكم أن تغالوا في صدقات النساء فليفعل كل رجل في ماله ما يشاء"[5]

وفي قوله أيضا: { ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا(22)حُرِمت عليكم أُمهاتكم و بناتكم وأخَواتكم وعمَّاتُكمْ وخَالاَتكُمْ وبَناتُ الأَخِ وبَناتُ الأخْتِ وأُمَهاتُكمْ التي أرْضَعنكمْ وأخَواتُكمْ منَ الرِّضاعَة وأمهَاتُ نِسائِكُم ورَبائِبُكم التي في حُجُوركم من نسائكم التي دخلتم بهنَّ فإن لم تكونوا دخلتم بهِنَّ فلا جُناح عليكم و حلائل أبنائكم الذين منْ أصْلابِكمْ وأنْ تَجْمَعُوا بين الأُخْتيْن إلاَّ مَا قدْ سَلَفْ إنَّ الله علْيكم وأُحِلَّ لكُم مَا وَراء ذلِكُم إنْ تبْتغُوا بأَمْوالكمْ مُحْصِنِين غيْر مسافِحِين فيمَا استَمْتَعتم بهِ مِنْهُنَّ فأْتوهنَّ أجورَهن فَريضةٌ ولاَ جُنَاح عليْكُم فيمَا تراضيْتُمْ بهِ بعْد الفَريضَة إنّ الله كَان عَليماً حكيماَ } الآيات 22، 23.

[4] البغوي، معالم التنزيل، 187/2.
[5] -محمد عاشور،تفسير التحرير والتنوير،289/4.

<حفي حجوركم:تحت رعايتكم وهذه العبارة بيان للغالب >>.[6]

ففي هذه الآية يحرم الله تعالى زوجات الآباء تكرمه لهن وإعظاما واحتراما لهنّ من بعدهم.

وعن ابن عباس قال:كان أهل الجاهلية يحرّمون ما حرّم الله إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين فانزل الله تعالى: {ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النّساء}، ﴿وان تجمعوا بين الأختين}[7]،وقال الأشعث بن سوار:توفي أبو قيس وكان من صاحبي الأنصار فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت :إني أتّخذتك ولدا وأنت من صالحي قومك ،ولكن آتى رسول الله صلى الله عليه وسلّم أستأمره،فآته فأخبرته،فأنزل الله تعالى: {ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النّساء إلاّ ما قد سلف}.[8]

وقيل:بعد ما سلف، وقيل:معناه لكن ما سلف أي:ما مضى في الجاهلية فهو معفو عنه>>[9]

ففي هذه الآية ذكر للمحرمات من النساء وكلّها بيان لاحتراز المسلمين من الوقوع في المحرّمات،التي كانت شائعة في الجاهلية من أكل الأموال بالباطل واغتصاب لحقوق النّساء والأيتام والمستضعفين.

(كما نهى كذلك الرسول عليه الصّلاة السلام عن زواج المتعة،الذي أبيح في بداية الإسلام، حيث أكّد أنّه حرام إلى يوم الدين كما نهى عن أخذ مهور الزوجات)[10].

وفي قوله أيضا: {للرّجال نصيب ممّا ترك الوالدان والأقربون وللنّساء نصيب ممّا ترك الوالدان والأقربون ممّا قلّ منه أو كثر نصيبا مفروضا}الآية 07.

---

[6] –ابن كثير،تفسير القرآن العظيم،تحقيق:طه عبد الرؤوف سعد،شرح أحاديثه:عبد الله المنشاوي ،دار الاعتصام ،القاهرة،81/1.

[7]–ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير،448/1.

[8]–البغوي،معالم التّنزيل،187/2

[9]–البغوي،معالم التنزيل،187/2

[10]–يرظر:ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير،454/1. –

ومناسبة تعقيب الآي السّابقة بها : <<أنهم كانوا قد اعتادوا إيثار الأقوياء والأشدّاء والأموال، وحرمان الضّعفاء، وإبقائهم عالة على أشدائهم حتّى يكونوا في مقادتهم، فكان الأولياء يمنعون عن محاجيرهم أموالهم،وكان أكبر العائلة يحرم إخوته من الميراث معه فكان أولئك لضعفهم يصبرون على الحرمان، ويقنعون بالعيش في ظلال أقاربهم، لأنّهم إن نازعوهم طردوهم وحرموهم، فصاروا عالة على النّاس>>[11].

وكما جاء في ظلال القرآن للسّيد قطب (أن مجتمع الجاهلية كان مجتمعا يُجارفيه على الصغار والضعفاء،والنّساء، فلا يُسلم لهم فيه بنصيبهم الحقيقي من الميراث إنما يستأثر فيه بمعظم التركة للرجال الأقوياء القادرون على حمل السّلاح)[12].

<<فإيتاء مال اليتيم تحقيق لإيصال نصيبه مما ترك له الوالدان والأقربون وتوريث القرابة إثبات لنصيبهم مما ترك الوالدان والأقربون، وذكر النساء هناك تمهيدا لشرع الميراث، وقد تأبد ذلك بقوله "وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى "فإن ذلك يناسب الميراث ولا يناسب إيتاء أموال اليتامى>>.[13]

[11]– محمد الطاهر عاشور،تفسير التحرير والتنوير،247/4.

[12]ينظر:سيد قطب، في ظلال القرآن،557/4.

[13] محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير:248/4

المبحث الثاني:الجانب الديني

كما يعرفه السيد قطب أن الجانب الديني هو: <<نظام يحكم، ومنهج يتحكم وقيادة تطاع، ووضع يستند إلى نظام معين، ومنهج معين، وقيادة معينة وبغير هذا كله لا يكون إسلام ولا يكون مجمع ينسب نفسه إلى الإسلام>>.[14]

فالدين إذن هو النظام الذي وضعه سبحانه وتعالى للحياة البشرية بجملتها والسبيل الذي يسير عليه نشاط هذه الحياة، كما هو القيادة الربانية التي ينهل منهلها المجتمع ليمنحه صفة الإسلام.

في قوله تعالى: { يا أيُّها النَّاس اتقُوا ربَكم الذي خَلَقَكُمْ من نَفسٍ وَاحدةٍ وخَلَقَ مِنْها زوجَها وبَثَ منْهَا رِجَالاً كثِيرًا ونِساءً واتَّقُوا الله الذي تَساءَلُونَ به والأرْحَامَ إنَّ الله كَانَ عليْكُم رقِيبًا} الآية 01.

فربّ البشرية يأمر خلقه بتقواه وذلك بعبادته وحده لا شريك له فهو القادر على خلق كل شيء.

ومن باب الإجمال نذكر منها الآيتين الآتيتين:

في قوله: { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا} جزء من الآية 36.

ففي هذه الآية حق الله على عباده، حيث<< قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: أتدري ما حق الله على العباد؟ قال الله ورسوله أعلم قال << أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا >> ثم قال: أتدري ما حق العباد على الله؟ << إذا فعلوا ذلك ألاّ يعذبهم الله>>[15]

[14] سيدقطب، في ظلال القرآن، 562/4.
[15] محمد وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، م3،35/5.

<< وقُدم الأمر بما يتعلق بحقوق الله تعالى لأنها المدار الأعظم، وفي ذلك إيماء أيضا إلى ارتفاع شأن ما نظم في ذلك السلك، والعبادة أقصى غاية الخضوع >>[16]، فكأنه << قيل: إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك، ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على أن المراد بالأول لم يتب، وبالثاني من تاب>>[17].

وفيه (استئناف مشعر بتعليل عدم غفران الشرك وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار وذلك لإدخال الروعة، وزيادة تقبيح الإشراك، وتفظيع حال من يتصف به، أي ومن يشرك بالله تعالى الجامع لجميع صفات الكمال من الجمال، والجلال، أي شرك كان)[18].

وهو قوله في هذه السورة الكريمة: { إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بالله فقَدْ ظلَّ ظَلالاً بَعيدًا} الآية 116.

أما على وجه التخصيص والتحديد كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها الذِينَ أُوتوا الكِتَابَ ءامنُوا بِمَا نَزَّلنَا مُصَدِقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلُ أَنْ نَطْمُسَ وجُوهًا فَنَرُدَّها على أَدْبارِها أو نَلْعَنَهم كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وكَان أَمْرُ الله مفْعُولا﴾ الآية 47.

<< { نطمس وجوها } نمحو تخطيط معالمها وصورها.

{على أدبارها} أي: نجعلها كالأقفاء، كاللوح المنصوب الباهت حتى لا تبين، ولا تتضح لرائيها>>[19]

وفي هذه الآية أمر لأهل الكتاب بالإيمان بما نزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم، ومن يقوم بغير ذلك جزاءه طمس ولعن، وذلك في قوله: { من

[16] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 28/5.

[17]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 90/2.

[18]– ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 53،54/5.

[19]– الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، 35/2.

قبل أن نطمس وجوها} ومعنى ذلك << أنه يمحي ما في وجوههم من عين وأنف أو تركهم في الضلالة>>[20]

كما نجد التخصيص في العبادة والإيمان في قوله: { يا أيُّها الذين أَمنُوا أَطِيعُوا الله وأَطِيعُوا الرَسُولَ وأُولي الأَمرِ مِنْكُمْ فإِنْ تَنَازَعتُم في شَيْء فَرُدّوه إلى الله ورَسُولهِ إِنْ كُنْتُم تؤْمِنُونَ بالله واليَوْمِ الآخِر ذَلِكَ خَيْرٌ وأحْسَنُ تَأْويلاَ} الآية 59.

ففيها تخصيص بالأمر بطاعة الله أولا وطاعة الرسول وأولي الأمر، فطاعة الرسول من طاعة الله سبحانه وتعالى.

وقوله: {ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم ءامنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك} جزء من الآية 60.

ففي هذه الآية ﴿يوضح الله تعالى موبخا المتحاكمين إلى غير كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مبينا أن الشيطان أضلهم ضلالا بعيدا عن الحق﴾[21]

أما في قوله تعالى: { وإِذَا قِيلَ لهُمْ تَعَالُوا إلى مَا أَنْزَلَ الله وإلى الرَّسُولِ رَأَيْتَ المنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عنْكَ صُدُوداً} الآية 61.

فيها << الإظهار في مقام الإضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار بعلة الحكم أي رأيتهم لنفاقهم>>[22]

إن الإيمان هو التصديق وحسن الاعتقاد بالله سبحانه وتعالى وهو يؤدي بالمؤمن إلى الطمأنينة وذلك أن العبد يسير على طريق الإيمان والعبادة والطاعة لله عزّ وجلّ فالعبد إذا

---

[20]– محمد الحسن الحمصي، تفسير وبيان القرآن الكريم، أسباب النزول للسيوطي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص86.

[21]- ينظر: محمد الأمين بن محمد المختار الجكيني الشنيقطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن، دار عالم الفوائد، 392،393/1.

[22]– الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 68/5.

أمِنَ صار في أمان الله، والله جلّ جلاله يأمر بالإيمان به ورسله وأولي الأمر واليوم الآخر.

أما في قوله: { فَلاَ وربِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَى يُحَكِمُوكَ فيمَا شَجَرَ بَيْنَهمْ ثُمَ لاَ يَجِدوُا في أَنْفُسِهِمِ حَرَجًا مِمَّا قَضيْتَ ويُسَلِمُوا تَسْلِيمًا} الآية 65.

ومعلوم أنه لا يقسم بالشيء إلا إعظاما له: << فكأنه يقول إن إعظامي لهذه الأشياء بالقسم كلا إعظام، يعني بذلك أنها بمثابة من التعظيم، والفخمية تستأهل أكثر من ذلك>>[23]، (حيث يقسم الله سبحانه وتعالى بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن من أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، فكل يحكم به يجب علينا الانقياد به وإتباعه)[24].

وفي قوله تعالى: {ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فيما أرسلناك إليهم حفيظاً}الآية 80.

(يخبر الله تعالى عن عبده ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام بأن من أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله)[25]

فلا شك أن الذي يبحث على الإصلاح هو الإيمان بالله عزّ وجلّ، فهو العالم بما يصلح شؤونهم وبالإيمان نتبع كل ما أمرنا به، فلقد أخبرنا ذو الجلال والإكرام بأن طاعة الرسول من طاعته.

فعن << أبي نجيح العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: وعضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت (أي خافت) منها القلوب، وذرفت (أي سالت بالدمع) منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودعٍ، فأوصينا، قال: أوصيكم

[23]– الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، 53/2.

[24]– ينظر: ابن كثير، مختصر تفسير بن كثير، 497/1.

[25]–ينظر:المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

بتقوى الله، والسمع والطاعة، وأن تأمَّرَ عليكم عبد محبشي، وأن من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، المهدين عضوا عليها بالنواجذ (أي الأنياب)، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة>>[26]

وكذا في قوله تعالى: {ومَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدمَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى ويَتَّبِعْ غَيْرَ سَبيلِ المُؤْمِنِينَ نوَلِّهِ مَا تَولَى ونُصلِهِ جَهَنَّمَ وسَاءَتْ مَصِيرًا} الآية 115.

فقوله تعالى{ومَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ}، << نزلت في طعمة بن ابيرق وذلك أنه لما ظهرت عليه السرقة خاف على نفسه من قطع اليد والفضيحة، فهرب إلى مكة وارتد عن الدين، فقال تعالى: {ومَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ}، أي يخالفه>>[27]

فكل من خالف الرسول وسار على غير دربه بعدما تبيت له طريق الحق كان جزاءه جهنم لأنه من يخرج عن الهدى ما له النار يوم القيامة.

فلقد أعم وأخص الله تعالى في التكاليف الشرعية في العبادات من طاعة الله وطاعة رسوله وتتبعها، وطاعة أولي الأمر وكلها عنوان للإيمان، وهذا ما أكدته الآيات السابقة وأمثالها كثر في هذه السورة وغيرها.

كما نتطرق في هذا الجانب إلى الحديث حول التوبة والاستغفار، الصلاة، الرّبا، النفاق، والقتل.

إن المراد بالتوبة: << هو التخلي عن سائر الذنوب والمعاصي والندم على كل ذنب سالف والعزم على عدم العودة إلى الذين في مقبل العمر>>[28].

ولقد ذكرت التوبة في كثير من المواضع نذكر بعضها:

---

[26]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 688/1.

[27]– البغوي، معالم التنزيل، 287/2.

[28]أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، دار السلام، الجزائر، ط4، 2004م، ص67.

في قوله تعالى: {واللّذَان يأْتَي إنها مِنْكُمْ فأذُوهُمَا فإنْ تَابَا وأصْلحَا فأَعْرِضوا عَنْهُما إنَّ الله كَانَ تواباً رَحيماً (16) إنما التَوبَة عَلى الله للذينَ يَعلَمُونَ السُوءَ بِجَهَالةٍ ثُمَ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبِ فَأولَئكَ يَتُوبُ الله عَليْهِمْ وكَانَ الله عليماً حكِيماً (17) ولَيْسَتْ التَوبَة للذِينَ يَعلَمونَ السَيئاتِ حتَى إذَا حَضرَ أَحَدُهم المَوتَ قَال إني تَبْتَ الآنَ ولاَ الذِينَ يَمُوتُنَ وهُمْ كُفَارٌ أولَئكَ اعْتَدنَا لَهُمْ عَذاباً أليماً } الآيات 16، 17، 18.

ففي هذه الآيات تفصيل دقيق حول موضوع التوبة، حيث يقبل الله عزّ وجلّ توبة من قام بالفاحشة ثم تخلى وأقلع عنها وعزم على عدم العودة إليها لأن التائب عن الذنب كمن لا ذنب له، حتى لو تاب قبل موته بساعة) [29]، وذلك أن من تاب الله عليه، << إذا قبل توبته وغفر له، يعني إما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء>>[30]

ونجدها أيضا في قوله تعالى: { واللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ويُرِيدُ الذين يتَبِعُنَ الشَهَواتِ أنْ تَميلُوا مَيْلاً عَظِيماً}الآية 27.

(جعل بعضهم أن هذه الآية تكرار لما تقدم قوله ﴿يُرِيدُ اللهُ ليُبين لَكُمْ ويَهْدِيكُمْ سُنَنَ الذين مِنْ قَبْلِكُمْ ويَتُوبَ عَلَيْكُمْ واللهُ عَليمٌ حَكيمٌ ﴾ الآية 26، وذلك للتأكد وللمبالغة وهو ظاهر إذا كان المراد من التوبة في هذين الآيتين شيء واحد، أي نفس التوبة)[31]

وفي قوله: { ومَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلاَّ لِيُطَاعَ بإذْنِ الله ولَو أَنَّهُمْ إذَا أظْلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فاسْتَغفَرُوا الله واسْتَغْفَرَ لَهُمْ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا الله تَواباً رَحِيماً} الآية 64.

وكما في قوله: ﴿ واسْتَغْفَرَ الله إنَّ الله كَانَ غَفُوراً رحِيماً}الآية 106.

وكذلك: { ومَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أوْ يَظْلمْ نَفْسَهُ لَم يَسْتَغْفِرِ الله يجدِ الله غَفوراً رحيماً} الآية 110.

[29] ابن كثير، مختصر تفسير بن كثير، 444/1.

[30] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض وآخرون
مكتبة العبيكان، ط1، 1998م، الرياض، 41/2.

[31] ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 14/5.

فكل هذه الآيات دليل على رحمة الله الواسعة، فهو الغفور الودود الرحيم بعباده ونذكر في قوله: { إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بالله فقد افْتَرَى إِثْماً عَظيماً} الآية 48.

حيث << أخرج ابن حاتم والطبراني حول سبب نزول هذه الآية عن أبي الأنصاري قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام، قال: وما دينه؟ قال: يصلي ويوحد الله، قال إستوهب منه دينه، فأبّى فاتبعه منه، فطلب الرجل ذلك منه، فأبى عليه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: وجدته شحيحا على دينه، فنزلت { إن الله لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} >>[32]

فبالتوبة يكون ردُّ الاعتبار للمخلوق وتصحيح للاعتقاد ورجوع إلى مغفرة الخالق لتكريس حياته (المخلوق) لعبادة العزيز الغفار العظيم جلّ جلاله، وكسبٌ لرضاه للنجاح والفوز باليوم الآخر.

وبعد إعطاء اللمحة الوجيزة عن التوبة ننتقل إلى الحديث عن الصلاة.

فالصلاة ركن من أركان الإسلام الخمس وهي فريضة على كل مسلم ومسلمة، ونجدها في هذه السورة المباركة في كثير من المواضع ولقد حملت معظمها تفصيلات دقيقة،بل ناقشت بعض هذه الآيات كيفية الاستعداد لها قبل أدائها وشروط صحتها، كما ذكرت بعض أنواعها كصلاة الأمن والخوف، والصلاة في وقف الأذى.

ومن ذلك قوله تعالى: { يَا أَيُّها الذِينَ ءامنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَلاَةَ وأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ولاَ جُنُبًا إلاَّ عَابِري سَبِيل حَتى تَغْتَسِلُوا وإِنْ كُنْتُمْ مَرْضى أو عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ الغَائِط أَوْ لاَمَسْتُمْ النِسَاءَ فلَمْ تَجِدُوا مَاءً فتَيَمَمُوا صَعِيداً طَيْباً فامْسَحُوا بِوُجُهِكُمْ وأَيْدِيكُمْ إنَّ الله كَانَ عَفُواً غَفُوراً} الآية 43.

[32] محمد حسن الحمصي، تفسير وبيان القرآن الكريم، ص134، 135.

ففي هذه الآية << إرشاد لإخلاص الصلاة التي هي رأس العبادة من شوائب الكدر ليجمعوا بين إخلاص عبادة الحق ومكارم الأخلاق التي بينهم وبين الخلق >>[33]، وسبب نزول هذه الآية << كما روى أبو داود والترمذي والنّسائي والحاكم عن علي قال: صنع لنا عبد الرحمان بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة (أي حان موعدها) فقدموني، فقرأت { قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن عابدون ما تعبدون} فأنزل الله { يَا أَيُّها الذِينَ ءامَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَلاَةَ وأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ}>>[34].

حيث ينهى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين عن القيام بفريضة الصلاة، وهو في حال السكر، وذلك أنه يصبح غير واع بما يفعله ويقوله، وكذلك الجنابة فهي تبطل الصلاة إلا للمسافر حتى يجد الماء وللمريض حتى يشفى من مرضه، ومن مبطلاتها أيضا التغوط وملامسة النساء غير أن رحمة الله واسعة لعبده المؤمن وذلك أنه ذكر لنا في هذه الآية التيمم لمن لم يجد الماء، كما ذكر لنا كيفية التيمم.

ففي هذه الآيات تفصيل حول شروط صحة الصلاة وكيفية الاستعداد لها.

قوله تعالى: { وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أن تُقْصِرُوا مِنَ الصَلاَةَ إن خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الذين كَفَرُوا إِنَّ الكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًا مُبِينًا(101) وإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمْ الصَلاَةَ فَلْتُقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعدّ للكافرين عذابا مهينا (102) فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا

[33] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 38/5.
[34] محمد حسن الحمصي، تفسير وبيان القرآن الكريم، ص 131.

اطمأننتم فأقيموا الصلاة إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا }الآيات 101، 102، 103.

{ أن تقصروا من الصلاة} <<يعني من أربع ركعات إلى ركعتين، وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء>>.[35]

وسبب نزول هذه الآية كما <<أخرجه ابن جرير عن علي قال:سأل قوم من بني النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله، إنا نضرب في الأرض، فكيف نصلي؟ فأنزل الله { وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة}، ثم انقطع الوحي. فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي صلى الله عليه وسلم، فصلى الظهر، فقال المشركون لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم؟ فقال قائل منهم: إن لهم أخرى مثلها في أثرها قال: فأنزل الله عزّ وجلّ، بين الصلاتين ﴿إِن خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الذين كَفَرُوا} فنزلت صلاة الخوف>>[36]

ومعنى هذا (إن يخفف المسافر في البلاد في صلاته، كما نجد الآية الثانية بيان لصلاة الخوف حيث صلى عليه الصلاة والسلام بطائفتين، وجواز حملهم السلاح، كما يأمر سبحانه وتعالى بكثرة الذكر عقب صلاة الخوف، وهذا تأكيد لشدة حرمتها وعظمتها، وبعد الأمان وذهاب الخوف وبعد حصول الطمأنينة نقيم الصلاة بصورة عادية كما أمرنا لأنها مفروضة وموقوتة)[37]

وكما جاء في تفسير البغوي << وأعلم أن قصر الصلاة في السفر جائز بإجماع الأمة، واختلفوا في جواز الإتمام فذهب أكثرهم إلى أن القصر واجب، وهو قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال الحسن وعمر ابن عبد العزيز

[35] البغوي، معالم التنزيل،274/2.
[36] محمد حسن الحمصي، تفسير وبيان القرآن الكريم، ص164، 165. -
[37] ينظر: ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، 524/1، 525.

قناءه وهو قول مالك وأصحاب الرأي، بما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: << الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر وأتممت صلاة الحضر>>[38]

ثم ننتقل في هذا الجانب إلى الحديث عن تحريم الرّبا وأكل أموال الناس بالباطل وذلك في قوله تعالى: { وأَخْذِهِمْ الرِّبا وقدْ نَهُوُا عَنْهُ وأَكْلِهِمْ أَمْوالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ واعتَدْنَا للكَافْرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} الآية 161.

فهذه الآية << دلالة على أن الربا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا، وأن النهي يدل على حرمة المنهي عنه، وإلا لما توعد سبحانه على مخالفته>>[39]

<<{ وأكلهم أموال الناس بالباطل}، من الرشا في الحكم، والمآكل التي يصيبونها من عوامِهم، عاقبناهم بأن حرمنا عليهم طيبات، فكانوا كلما ارتكبوا كبيرة حرّم عليهم شيء من الطيبات التي كانت حلالا لهم، قال الله تعالى: ﴿ ذلك جزيناهم ببغيهم وإنّا لصادقون ﴾ الأنعام 146 >>[40]

كما أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل وأداء الأمانة إلى أهلها في قوله: { إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إنّ الله يعظكم به إن الله كان سميعا بصيراً} الآية 58.

<< فالإنسان وحده قد وكل إلى فطرته وعقله وإرادته وجهده للوصول إلى الله بعون منه، "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا" وهذه الأمانة حملها الإنسان وعليه أن يؤديها.

ومنها تنبثق سائر الأمانات، أمانة الإيمان بالله، أمانة التعامل مع الناس، أمانة المعاملات والودائع المادية وأمانة النصيحة للراعي والرعية، وأمانة القيام على الناشئة>>[41]

[38] البغوي، معالم التنزيل،274/2

[39] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 14/6.

[40] البغوي، معالم التنزيل، 309/2.

[41] محمد وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، م، 70/6.

<< الاستئناف الابتدائي قصد منه الإفاضة في بيان شرائع العدل والحكم، ونظام الطاعة وذلك من الأغراض التشريعية الكبرى التي تضمنتها هذه السورة، ولا يتعين لطلب المناسبة بينه وبين ما سبقه، فالمناسبة هي الانتقال من الأحكام التشريعية إلى أحكام أخرى في أغراض أخرى، وهنا مناسبة، وهي أن ما استطرد من ذكر أحوال أهل الكتاب في تحريفهم الكلم عن موضعه، وليِّهم ألسنتهم بكلمات فيها توجيه من السبت، وافتراءهم على الله الكذب، وحسدهم بإنكار فضل الله إذا آتاه الرسول والمؤمنين كل ذلك يشتمل على خيانة أمانة الدين والعلم، والنعمة، وهي أمانات معنوية، فناسب أن يعقب ذلك الأمر بأداء الأمانة الحسية إلى أهلها ويتخلص إلى هذا التشريع>>[42]

ومما جاء في هذه المعاملات قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الذين ءامَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ بالقِسْطِ شُهَدَاءَ لله ولَوْ عَلى أَنْفُسِكُمْ أَوْ الوالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًا أو فَقِيراً فالله أَوْلى بِهِمَا فَلاَ تتَّبعُوا الهَوَى أَنْ تعْدِلُوا وإِنْ تَلْوُوا أَوْ تَعْتَرِضُوا فإِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْلَمُون خَبِيراً} الآية 135.

ففيها أمانة القيام بالقسط، القسط الذي يمنع البغي والظلم بين الناس ويؤدي إلى العدل بينهم، بإعطاء كل ذي حق حقه من المسلمين أو غير المسلمين، وبذلك فإن هذه الآية الكريمة تؤكد على إقامة العدل بين الناس جاعلة القاعدة الأساسية في هذا العدل تعامل الفرد والجماعة مع الله مباشرة طلبا فيما عنده سبحانه وتعالى.

كما لا يحب الله أن يدعوا أحدٌ على أحدٍ إلا أن يكون مظلومًا فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه وذلك في قوله { لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم وكان الله سميعاً عليماً (148) وإن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا} الآيتان 148، 149.

[42] محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والنوير، 91/5.

حيث << روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقتادة هو أن يدعو على من ظلمه وعن مجاهد أن المراد لا يحب الله سبحانه أن يذم أحد أحدا ويشكوه>>[43]

ولقد أكدت هذه الآية الكريمة (مبدأ حماية الإسلام لسمعة الناس ما لم يظلموا فإذا ظلموا لم يستحقوا هذه الحماية وأذن للمظلوم أن يجهر بكلمة السوء في ظلمه وهو الاستثناء الوحيد من كف الألسنة عن كلمة السوء)[44]، ووجه ربط هذه الآية بما قبلها ﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وءامنتم وكان الله شاكراً عليماً ﴾<< على ما قاله العلامة الطيبي أنه سبحانه وتعالى لما فرغ من بيان إيراد رحمته وتقرير إظهار رأفته جاء بقوله جلّ وعلا، ﴿ لا يحب الجهر بالسوء ﴾ تتميما كذلك وتعليما للعباد التخلق بأخلاقه جلّ جلاله>>[45]

أما في حديثه عن النفاق نذكر الآيات التالية:

قوله تعالى: { إِنَّ المُنَافِقِينَ الله وَهُوَ خَادِعُهمْ وإِذَا قَامُوا إلى الصَّلاةِ قَامُوا كُسالى يُراءونَ النَّاس ولاَ يَذْكُرُونَ الله إلاَ قَلِيلاً (142) مذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إلىَ هَؤُلاَءِ ولاَ إلى هَؤلاءِ ومَنْ يظْلِلِ الله فَلَنْ تَجِد لهُ سبِيلاً} الآيتان 142، 143.

(فالمنافقون يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطال الكفر غير أن الله هو القوي والفاعل الذي يفعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع، حيث تركهم معصومي الدماء والأموال في الدنيا لكنه أعدّ لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة)[46]

(ومعنى مذبذبين: أنهم كانوا مترددين فمن الإيمان والكفر وفي حيرة من أمرهم ولا منسوبين إلى هؤلاء فيكونون مؤمنين ولا إلى هؤلاء فيكونون مشركين)[47]

[43] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 12/6.
[44] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، 796/2.
[45] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 3/6.
[46] ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 166/2.
[47] ينظر: المرجع نفسه، 167/2.

ومآل هؤلاء المنافقين يكون الدرك الأسفل من جهنم كما في قوله: { إن المنافِقِينَ الدَرْكْ الأسْفلْ منَ النَّارِ ولَنْ تجِدَ لَهُمْ نَصِيراً} الآية 145.

وفي قوله تعالى: { بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً} الآية 138.

<< البشارة: كل خبر يتغير به بشرة الوجه ساراً كان وغير سارٍ، وقال الزجاج: معناه جعل في موضع بشارتك لهم العذاب، كما تقول العرب: تحيتك الضرب، وعتابك السيف)>>[48]

ففي هذه الآية كشف لبعض من صفات المنافقين وهي ولاية الكافرين دون المؤمنين، وسوء ظنهم بالله، وسوء تصورهم لمصدر العزّة والقوة، وفي جعل العذاب الأليم الذي ينتظر المنافقين بشارة (حيث وضعت في هذه الآية مكان "أخبر" وذلك تهكما بحالهم)[49]

أما كلامنا حول القتل الخطأ والقتل المتعمد نذكر قوله تعالى: { ومَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنَا إلاَّ خطَأً ومنْ يقتُلْ مؤمِناً خطأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مؤْمِنَةٌ وَدِيَّةٌ مُسلَمَةٌ إلى أَهْلِهِ إلاَّ أن يَصدقُوا فإنْ كَانَ منْ قَوْمٍ عَدُو لَكُمْ وهُو مؤْمِنٌ فَتَحرِيرُ رقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وإن كَانَ مِنْ قوْمٍ بَيْنَكُمْ وبيْنَهُمْ ميثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسلَمَةٌ إلى أهلِهوتَحرِيرُ رقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهرِيْنِ متتَابعيْنِ تَوبةٌ منَ الله وكانَ الله عليماً حَكيماً (92) ومنْ يقْتلْ مؤْمِناً متَعَمِداً فجَزاءُه جَهَنم خالِداً فيهَا وغَضَبَ الله عليْهِ ولعَنهُ وأعدَّ لهُ عَذاباً عظيماً} الآيتان 92، 93.

إن القتل المتعمد: << ما يقصد به أتلاف النفس كائنا ما كان بحجر أو بعصى أو حديد أو غير ذلك>>[50] وحكم من قتل متعمدا جهنم وغضب ولعنة من الله.

---

[48] البغوي، معالم التنزيل، 300/2.

[49] ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 166/2.

[50] أبي الحسن على بن فضال المجاشعي، النكت في القرآن الكريم في معاني القرآن الكريم وإعرابه، تحقيق: عبد الله بن عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2007، ط1، ص190.

أما القتل الخطأ (هو الذي لم يكن متعمدا فواجبه تحرير رقبة وإعتاقها، ويجب أن تكون هذه الرقبة مؤمنة، وإعطاء دية لأهل القتيل أي ورثته ليقسموها بينهم على حسب الميراث)[51]

والقتل إذا كان عمداً عدواناَ جريمة كبرى، ومن السبع الموبقات التي يترتب عليها استحقاق العقاب في الدنيا والآخرة، وذلك بالقصاص، والخلود في نار جهنم، لأنه اعتداء على صنع الله في الأرض وتهديد لأمن الجماعة وحياة المجتمع.

وبذلك فإن هذه الآية جمعت في ذكرها لأحكام القتل سواء كان عن عمد أو كان خطأً

وبعد هذه الوقفة الوجيزة ننتقل إلى المبحث الثالث و هو الجانب الأسري

[51] ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 113/5.

المبحث الثالث: الجانب الأسري:

ارتأينا وضع جانب خاص سميناه " الجانب الأسري" للحديث عن كيفية بناء الأسرة، والتي هي أساس المجتمع وأصله، وركيزته، فبصلاحها صلح المجتمع وبفسادها فسد المجتمع، أي أنه قائم على قاعدتها.

وبداية نعرج إلى الحديث عن الزواج أو النكاح، فلقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام وخلق له زوجه، وجعل لهما نظاما يعيشان عليه ومنَّ الله تعالى بهذه العلاقة على الناس، وجعلها أساس الامتداد والنسل والذرية، على أن تكون في كنف المودة والسكينة لقوله تعالى: {ومنْ آيَاتِه أنْ خَلَقَ لَكُمْ منْ أنْفُسِكُمْ أزْواجاً لِتَسْكُنُوا إلَيْهَا وجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَةً ورَحمَةً إنَّ في ذَلِكَ لآيَاتٌ لِقَوْمٍ يَتَفَكَرونَ} سورة الروم الآية 21.

فالأسرة هي الجماعة التي ارتبط ركناها –الزوج والزوجة– بالزواج الشرعي، والتزمت بالحقوق والواجبات بين طرفيها، وما نتج عنها من ذرية، وما اتصل بهما من أقارب، وذلك في قوله تعالى: { يَا أَيُهَا النَاسُ اتَّقُوا رَبَكُم الذي خَلَقَكُمْ منْ نَفْسٍ واحِدَةٍوخَلَقَ منْهَا زَوْجَها وبثَّ منْها رِجَالاً كثِيراً ونِّساءً واتَّقُوا الله الذي تسَاءَلونَ بهِ والأَرْحَام إنَ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقيباً} الآية 01.

فلقد وضع الله سبحانه وتعالى ضوابط لهذا الزواج على خلاف زواج الجاهلية كزواج المتعة كما ذكرنا سابقا، لأن الزواج في الإسلام يتطلب أن يكون دون تحديد لمدة العلاقة الزوجية.

فلقد جعله سبحانه كالميثاق الغليظ: { وأخذنا منكم ميثاقا غلظا}.

(فالمسلم يعترف بالآداب المتبادلة بين الزوج والزوجة وحقوق كل منهما على صاحبه وذلك لقوله تعالى: { ولهنّ مثل الذي عليهن بالمعروف وللرّجال عليهن درجة} البقرة 228).[52]

فللزوج حق على زوجته وللزوجة حق على زوجها كما أمر عزّ وجلّ بالمعاشرة بالمعروف بين الزوجين لقوله: { وعاشروهن بالمعروف} الآية 19

(أي طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا من أفعالكم وهيئاتكم وذلك حسب ما يحب الرجل من زوجته فيكون نفس الفعل منه لها)[53]

أما في قوله: { وللرجال عليهن درجة}و{ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضكم على بعض} ففيه تفضيل للرجل وذلك للإنفاق والقيام بالمصالح، لأن الرجال أفضل من النساء في فعل ذلك، ويرجع سبب نزول هذه الآية { الرجال قوامون} كما أخرج <<ابن حاتم عن الحسن قال: جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تستعدي (أي تستنصر) على زوجها أنه لطمها فقال رسول الله عليه وسلم: القصاص، فأنزل الله {الرجال قوامون على النساء} فرجعت بغير قصاص >>[54]

(فلقد خصّ الله المرأة بالرّقة والعطف وسرعة الانفعال والاستجابة العاجلة لمطالب الطفولة هي خصائص ليست سطحية بل هي غائرة في التكوين العضوي للمرأة، وزوّد الرجل بالخشونة والصلابة وبطء الانفعال لاستخدام الوعي والتفكير، فكانت المرأة بخصائصها جديرة بتربية الأطفال، وتنشئتهم وهي مهمة جليلة وخطيرة، وكان الرجل بخصائصه جديرا بتدبير شؤون المعاش والإنفاق على الأسرة وحمايتها والقوامة عليها)[55]

[52] ينظر: أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، ص77.
[53] ينظر: ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، 446/1.
[54] محمد حسن الحمصي، تفسير وبيان القرآن الكريم، ص 129.
[55] محمد وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، م3، 31/5.

حيث لا يسمح لها الزوج أن تفسد في خلق أو دين، ولا يفسح لها أن تفسق أو تفجر إذ هو الراعي المسؤول عنها والمكلف بحفظها وصيانتها.

كما يجب على الزوجة أن تطيعه في غير معصية الله تعالى لقوله: { فإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْتَغُوا عَلَيْهنَ سبيلاً}، وصيانة عرض زوجها والمحافظة على شرفها: { فالصالحات فاتنات حافظات للغيب بما حفظ الله}.

وكذا العدل فإذا تزوج الرجل على زوجته وجب عليه العدل بين زوجاته في الطعام والشراب واللباس والسكن، والمبيت في الفراش، فإن لم يستطع العدل، فليقتصر على زوجة واحدة لقوله: { فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة} الآية 03.

كما أشار الله سبحانه وتعالى في هذه السورة الكريمة إلى اليتامى في كثير من الآيات نذكر قوله تعالى: { وابْتَلُوا اليَتَامى حَتى إِذَا بَلَغُوا النِّكاح فإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهمْ رُشْداً فادْفَعُوا إِلَيْهُمْ أَمْوالَهُمْ ولاَ تأْكُلُوهَا إِسْرافاً وبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا ومَنْ كَانَ غَنِيًّا فليَسْتَعْفِفْ ومَنْ كَانَ فَقيراً فلْيَأكلْ بالمَعْرُوفِ فإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهُمْ أَمْوالَهُمْ فأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وكَفَى باللهِ حسِيباً} الآية 06.

<< والمعنى: ابتلوا اليتامى حتى وقت أن بلغوا النكاح فادفعوا إليهم أموالهم وما بعد ذلك ينتهي عنده الابتلاء، حيث علم أن الابتلاء لأجل تسليم المال فقد تقرر أن مفهوم الغاية مراد منه لازمه وأثره، وهو تسليم الأموال >>[56]، أي اختبار لليتامى الصغار حتى إذا بلغوا وكانوا صالحين في دينهم، انفك عنهم الحجرُ فيسلم لهم ما لهم الذي كان تحت يدي أوليائهم.

وكل هذا التشديد والتذكير والتحذير يوحي بما كان سائدا في الجاهلية من جور على أموال اليتامى الضعاف، وبما كان يحتاج إليه من تغيير لهذا العرف السائد، فمن <<طريق عطاء بن السائي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: لما نزلت

[56] محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 238/4.

"إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما"....الآية... انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه عن طعامه وشرابه عن شابه، فجعل بفضل الشيء، فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– فأنزل الله: <<ويسألونك عن اليتامى قل: إصلاح لهم خير، وإن تخالطوهم فإخوانكم، والله يعلم المفسد من المصلح، ولو شاء الله لأعنتكم...>> الآية >> فخلطوا طعامهم بطعامهم، وشرابهم بشرابهم...>>[57]

كما حرّم الله سبحانه وتعالى أكل مال اليتيم في موضع آخر، وشبه ذلك بأكل النار يوم القيامة في قوله: {إنَّ الذينَ يَأْكُلونَ أمْوالَ اليَتَامى ظُلْمَاً إنَّمَا يَأْكُلُونَ في بُطُونِهِمْ نَاراً وسيَصْلَوْنَ سَعيراً} الآية 10.

حيث روي << أنه يبعث آكل مال اليتم يوم القيامة والدخان خرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا>>[58]

كما نجد في هذه السورة تحقيقا لعلم المواريث أي تقرير للمبدأ العام للتوارث في مثل قوله تعالى:{ للرِّجَالِ نَصيبٌ ممَّا تَرَكَ الوَالِدَان والأَقْرَبُونَ وللنِّسَاءِ نَصيبٌ ممّا تَرَكَ الوَالِدَان والأَقْرَبُونَ ممَّا قَلَّ منْهُ أو كَثُرَ نَصيباً مفْروضاً} الآية 07.

تم بالتفريع والتوزيع للأنصبة في الآيتين التاليتين:

أولهما خاصة بالورثة في الأصول والفروع وذلك في قوله تعالى:{ يُوصيكمُ اللهُ فيِ أوْلاَدِكُمْ للذَكرِ مِثْلُ حَظِ الأُنْثَيَيْنِ فإنْ كُنَ نِسَاءً فَوقَ اثْنَيْنِ فَلهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وإنْ كَانَتْ وَاحِدةٌ فَلَهاَ النِصْفُ ولأَبَوَيْهِ لكلِ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُدْسُ ممّا تَرَكَ إنْ كَانَ لَهُ ولَدٌ فإنْ لم يَكُنْ لهُ ولَدٌ وورثهُ أبَوَاهُ فلأمِهِ الثُلُثُ فإنْ كَانَ لهُ إخْوَةٌ فلأُمِهِ السُدسُ من بعدِ وصِيَةٍ يوصِي بهاَ أوْ دَيْنٍ ءابَاؤكُمْ وأبْنَاؤكُمْ لاَ تَدْرونَ أيّهُمْ أقْربُ لكُمْ نَفعَا فريضَةً من اللهِ إن الله كَان عَلِيماً حَكيماً} الآية 11.

[57] سيد قطب، في ظلال القرآن، 589/1.
[58] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 32/2.

<< وجملة الورثة سبعة عشرة: عشرة من الرجال وسبع من النساء، فمن الرجال الابن وابن الابن وان سفل والأب والجدّ وأبو الأب وإن علا، والأخ سواء كان لأب و أم أو لأب أو لأم، وابن الأخ للأب والأم أو لأب وإن سفل والعم للأب والأم للأب وأبناؤهما وإن سلفوا، والزوج ومولى العتاق، ومن النساء البنت وبنت الابن وأن سلفت، والأم والجدّة أم الأم أم الأب، والأخت سواء كانت لأب وأم أو لأب أو لأم، والزوجة مولاة العتاق>>[59]

أما الآية الثانية فهي خاصة بالحالات الزوجية والكلالة، وذلك في قوله: {ولكم النصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهُنّ ولدٌ فإن كان لهُنّ ولد فلكُم الرُبع ممّا تركن من بعد وصيَةٍ يوصينَ بها أو ديْنٍ غيرِ مُضارٍ وصيةً من الله والله عليم حليمٌ} الآية 12.

ثم يجيء بقية أحكام الورثة في آخر آية في السورة استكمالا لحالات الكلالة في الآية الأخيرة من سورة النساء {يَسْتَفْتُونَك قُلِ اللهُ يفْتيكُمْ في الكَلاَلَةِ إنْ امْرُؤُ أهلكَ لَيْسَ لهُ ولَدٌ ولَهُ أُخْتٌ فَلَهاَ نِصْفُ مَا ترَك وَهُوَ يَرِثُها إن لَمْ يَكُنْ لَهاَ وَلَدٌ فإنْ كانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُلُثَانِ مماَ تَرَكَ وإنْ كَانُوا إخْوةً رِجَالاً ونِسَاءً وللذَكرِمِثْلُ حَظِ الأُنْثَيَيْنِ يبَينُ الله لكُم أنْ تَضلِلُوا والله بِكُلِ شيْء عَلِيمٌ} الآية 176

(والكلالة: هو أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد، وقيل: هي مصدر من تكللة النسب أي أحاط به فالأب والابن طرفان للرجل، فإذا مات ولم يخلفهما فقد مات عن ذهاب طرفيه فسمي ذهاب الطرفين كلالة)[60]

اما فيما يخص الإحسان نذكر الآية التالية: {واعْبُدوا الله ولاَ تَشْرِكُوا به شيْئاً وبالوالدَيْنِ إِحْساناً وبذيِ القُربىَ واليَتَامى والمَسَاكِين والجَارِ ذيِ القُربَى والجَارِ الجُنُبْ

[59] البغوي، معالم التنزيل، 172/2،173.
[60] ينظر: أبي بكر محمد بن عزيز السجساني، غريب القرآن، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، 1963م، ص166.

والصَاحبِ بالجُنُبْ وابن السبيلِ ومَا ملَكَتْ أيْمَانُكُمْ إنَّ الله لاَ يحِبُ منْ كَان مُخْتالاً فَخُوراً} الآية 36.

وقوله:" وبالوالدين إحسانا" << اهتمام بشأن الوالدين إذ جعل الأمر بالإحسان إليهما عقب الأمر بالعبادة >>[61]، (أي أحسنوا إليهما إحسانا، والإحسان المأمور به أن يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما، ويسعى في تحصيل مطالبهما والإنفاق عليهما، وكذلك ذي القربى أي صاحب القرابة من أخ وعم وخال وأولادهم، واليتامى، والمساكين، والجار ذي القربى أي الذي قرب جواره، أما الجار الجنب فهو البعيد عن الجنابة وهي ضد القرابة والصاحب بالجنب وهو الرفيق في السفر، أو المنقطع الذي يرجوا النفع، وابن السبيل وهو المسافر والضيف، وكذلك ما ملكت الأيمان من عبيد) [62]، (هذه هي السمة الأساسية في العقيدة الإسلامية، وفي المنهج الإسلامي، وفي دين الله الصحيح كله، تبرز هنا في تصدير آية الإحسان إلى الوالدين والأقربين، وغيرهم من طوائف الناس، بعبادة الله وتوحيده)[63]، فهذه سمة الإسلام توحيد الأسرة والعلاقات الإنسانية.

أما التحية فهي من المعاملات ونجدها في قوله: { وإذا حُيِيْتُمْ بِتَحيَةِ فَحَيُوا أحْسَنِ مِنْهَا أوْ رُدُهَا إنَّ الله كَان عَلى كُلِ شيْء حسيباً} الآية 86.

(أي نرد بتحية أحسن من التحية التي حيّينا بها وذلك بأن نقول مثلا عليكم السلام ورحمة الله تعالى إذا قال أحدٌ السلام عليكم و(أو) جاءت في هذه الآية للتخيير بين الزيادة وتركها)[64]، << فالزيادة مندوبة والمماثلة مفروضة>>[65]

ولقد روي << أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: السلام عليك، فقال: وعليك السلام ورحمة الله" وقال آخر: السلام عليك ورحمة الله، فقال: "وعليك السلام

[61] محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 49/5.
[62] ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 29،28/5.
[63] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، 2/ 659.
[64] ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 99/5.
[65] : ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، 691/1.

ورحمة الله وبركاته" وقال آخر: " السلام عليك ورحمة الله وبركاته، قال: " وعليك"، فقال الرجل: نقصتني، فأين ما قال الله؟ وتلا الآية، فقال: << إنك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله>>[66]

فالتحية تدل على احترام الناس لبعضهم البعض كما أنها سبيل لتوثيق علاقات المودة والقربى بين أفراد الجماعة المسلمة، وإفشاء للسلام.

إن طابع الأسرة والمجتمع هو الاستمرار، وهدفهم الاستقرار، ويكون ذلك بإتباع مجموعة من القوانين والمعاملات، وتوفير أسباب الإحصان والوقاية في تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم كله، إقامتها على التكافل والتراحم والتناصح والأمانة والعدل والسماحة والمودة والإحسان وكذا حماية المجتمع من الفاحشة والتشتت.

[66] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 119/2.

المبحث الرابع: الجانب السياسي:

نحن نعلم أن سورة النساء تتكلم عن أحكام النساء، لكننا نجد فيها الجهاد، وكذلك أن كل نظام اجتماعي لابد له من نظام عسكري، فهذا النظام لا يستقر ما دمنا لا نحميه بالجهاد.

ونذكر منه قوله تعالى: { فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الذينَ يشْرُونَ الحَيَاة الدُنْيَا بالآخِرَة وفي سَبِيلِ الله فلْيُقاتِلْ أو يَغلُبْ فسَوْفَ نُؤتِيهِ أجْراً عَظِيماً} الآية 74.

{ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الذينَ يشْرُونَ الحَيَاة الدُنْيَا بالآخِرَة} << قيل: نزلت في المنافقين ومعنى يشرون أي: يشترون الذين يختارون الدنيا على الآخرة، معناه: آمنوا ثم قاتلوا، وقيل نزلت في المؤمنين المخلصين، معناه فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون أي: يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة ويختارون الآخرة>>[67]

وفي هذه الآية (بيان للمنافقين أو المؤمن النافر الذين يبطئون عن الجهاد حيث أُمروا بأن يغيروا ما بهم من نفاق، ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله) [68]، وأن كل من يقاتل في سبيل الله وكان غالبا أو مغلوبا له الأجر والثواب العظيم.

وكذلك في قوله: { ومَا لَكُمْ لاَ تُقَتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله والمُستَضعَفينَ منَ الرِجَالِ والنِسَاء والوِلْدَانِ الذِينَ يَقُولُونَ رَبَنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هذِهِ القَريَةِ الظَالِمِ أَهْلُهَا واجْعَلْ لنَا منْ لدُنْكَ ولِياً واجْعَلْ لنَامنْ لدُنْكَ نَصيراً} الآية 75.

<< فعبارة {ومَا لَكُمْ لاَ تُقَتِلُونَ} هذا استفهام يراد به التحريض على القتال>>[69]

حيث يحرض الله سبحانه وتعالى على الجهاد في سبيله وعلى السعي لإنقاص المستضعفين من رجال ونساء وأولاد، وفيها عتاب على ترك الجهاد << أي لا شيء لكم

[67] البغوي، معالم التنزيل، 2/ 249.
[68] ينظر: أحمد بن يوسف، الدّر المصون في كتابه المكنون، دار القلم، دمشق، 35/4.
[69] المرجع نفسه، 36/4.

في حال لا تقاتلون، والمراد أن الذي هو لكم هو أن تقاتلوا، فهو بمنزلة أمر، أي قاتلوا في سبيل الله لا يصدّكم شيء عن القتال>>[70]والقتال يكون لسبيل إعلاء كلمة الله.

وقوله أيضا: { أَلَّم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشيةً وقَالوا رَبّنَا لما كَتَبْت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قلْ مَتاعُ الدنيا قليلْ والآخرة خيرٌ لمن اتقى ولا تظْلَمون فتيلاً} الآية 77.

ويرجع سبب نزولها كما << أخرج النسائي والحاكم ابن عباس، أن عبد الرحمان ابن عوف وأصحابا له أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا نبي الله، كنا في عزٍّ ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة، قال: إني أمرت بالعفو، فلا تقاتلوا القوم، فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا، فأنزل الله:{ أَلَّم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم}[71]

<< وقد علم معنى حرصهم على القتال قبل أن يعرض عليهم من قوله " قيل لهم كفوا أيديكم" لأن كف اليد مراد منه ترك القتال، كما قال: " وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بطن مكة" [72]، << وأن يتولى هو سبحانه كف بأس الذين كفروا فيكون المسلمون ستارا لقدرته في كف بأسهم عن المسلمين...مع إبراز قوة الله سبحانه وأنه أشد بأسا وأشد تنكيلا>>[73]، (أي كفوا عن القتال، وذلك أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار، ما داموا بمكة، غير أنهم عندما أمروا بالقتال خافوا من المواجهة والقتال)[74].

وفي قوله: { فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلاّ نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا} الآية 84.

[70] محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 122/5.
[71] ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، 502/1.
[72] محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 125/5.
[73] سيد قطب، في ظلال القرآن، 725/2.
[74] ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 109/2.

فهذه الآية << تفريع على ما تقدم من الأمر بالقتال، ومن وصف المثبطين عنه، والمتذمرين منه، والذين يفتنون المؤمنين في شأنه، لأن جميع ذلك قد أفاد الاهتمام بأمر القتال، والتحريض عليه، فتهيأ الكلام لتفريع الأمر به>>[75]

وفيها (يأمر الله سبحانه وتعالى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالقتال وذلك إذا أفردوه وتركوه فيكلف نفسه وحدها للجهاد، فالقادر العظيم بالقتال وذلك إذا أفردوه وتركوه فيكلف نفسه وحدها للجهاد، فالقادر العظيم هو ناصره وليس الجنود، وما عليه إلا تحريض المؤمنين للقتال وبعث هممهم على محاربة الأعداء لا بالتعنيف لهم)[76]

وكل ما ذكرناه في هذه الجوانب ومن تمثيل للآيات تأكيد على التكاليف الشرعية في العبادات والمعاملات، وما هو إلا قطرة من فيض.

ونرجو أن نكون قد وفينا ولو بقليل في إظهار هذه الملامح والمظاهر الاجتماعية في هذه السورة المباركة.

[75] محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 142/5.
[76] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 117/2،118.

الفصـــل الثانـــي:

دراسة بلاغية دلالية

"علم المعاني"

المبحـــــث الأوّل: الخبر والإنشاء

مطلـــــب01: الخبـــــر.

مطلـــــب02: الإنشـــــاء.

المبحـــــث الثاني: الالتفـــــات.

مطلـــب 01: الالتفات من التكلّـــــم إلى الغيبـــــة.

مطلـــب 02: الالتفات من الغيبـــــة إلى التكلـــــم.

مطلـــب 03: الالتفـــــات من الخطـــــاب إلى الغيبـــــة.

مطلـــب 04: الالتفـــــات من الغيبـــــة إلى الخطـــــاب.

المبحـــــث الثالـــــث: التقديـــــم والتأخـــــير.

المبحـــــث الرابـــــع: الذكـــــر والحـــــذف.

مطلـــــب 01: الذكـــــر.

مطلـــــب 02: الحـــــذف.

المبحـــــث الخامـــــس: القصـــــر.

المبحـــــث الســـــادس: الفصـــــل والوصـــــل.

مطلـــــب01: الفصـــــل.

مطلـــــب02: الوصـــــل.

المبحـــــث السابـــــع: الإيجـــــاز والإطنـــــاب.

مطلـــــب01: الإيجـــــاز.

مطلـــــب02: الإطنـــــاب.

تمهيـــــــد:

إنّ دراسة القرآن كالغوص في بحر ملؤه الكثير من العلوم الواسعة والمتنوعة، غني بكثير من التعابير والأساليب التي تؤدي بالدارس لها إلى التعجب من قدرة القادر على الإتيان بمثل هذه الأساليب، ولا يمثل هذا سوى قطرة من فيض لدلائل قدرته عزّ وجلّ.

ولمعرفة هذه الأساليب والتعابير الراقية لابدّ لنا من الاطّلاع على علم البلاغة وفهمه، لأنّه بهذا العلم يمكّن الوصول إلى معرفة روائع لغة القرآن.

1- تعريـــــف البلاغـــــة:

لغـــــة:

كما جاء في "أساس البلاغة" للزمخشري مادة بلغ، باب الباء قوله: "بلغ: أبلغه سلامي وبلّغه، وبلغ الله فهو مبلوغ به، وبَلُغ الرجل بلاغة فهو بليغ، وهذا قول بليغ، وتبالغ في كلامه: تعاطى البلاغة، وليس من أهلها، وما هو ببليغ ولكن يتبالغ"[1].

اصطلاحـــــــا:

"البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى حال من يخاطب به من فصاحة مفرداته وجمله،...ويشترط في الكلام البليغ أن يكون فصيح المفردات والجمل"[2].

البلاغة علم يتكون من ثلاثة علوم: علم المعاني، علم البيان، والبديع. ونبدأ أولا بالكلام عن علم المعاني كما يعرفه عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني بأنّه "علم يعرف به أحوال الكلام العربي التي تهدي العالم بها إلى اختيار ما يطابق منها مقتضى أحوال المخاطبين رجاء أن يكون ما ينشئ من كلام أدبي بليغا"[3].

---

[1]-الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: محمّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1998، 75/1.

[2]- عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم، دمشق، ط1، 1997، 1/ 129.

[3]- المرجع نفسه، 138/1.

ولقد وضع عبد القاهر الجرجاني نظرية علم المعاني في كتابه "دلائل الإعجاز"، ونظرية علم البيان في كتابه "أسرار البلاغة"، ويقول في هذين العلمين بأنّ الهدف منه هو البحث في أسرار الإعجاز، وأسبابه، وقد أشار إلى ذلك في كتابه "دلائل الإعجاز" بقوله: "إنّ الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت، وبانت وبهرت، هي أنّه كان على حدّ من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، ومنتهيا إلى غاية لا يُطمَح إليها بالفكر، وكان محالا أن يعرف كونه كذلك إلاّ من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب وعنوان الأدب والذي لا يشك أنّه كان ميدان القوم إذا تجاورا في الفصاحة والبيان....ثمّ بحث عن العلل التي بها كان التباين في الفضل، وزاد بعض الشعر على بعض"[4].

ولعلّ فيما أوردنا من تعريف بسيط وحديث موجز عن علم المعاني إقناعا لكلّ راغب وباحث لدراسة أساليب علم المعاني المختلفة والإفادة منها في الارتفاع بأسلوب إنشائه من ناحية، وفي الحكم على جيد الكلام ورديئه من ناحية أخرى.

2- تعريف الدلالة:

نعرض مفهوم الدلالة كما صدر في متون المعاجم، وطيّات الكتب العربية

-لغة

دلّ الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارةٍ تتعلمها، والآخَر اضطرابٌ في الشيء. فالأوّل قولهم: دلَلْتُ فلاناً على الطريق، وَالدليل: الأمارة في الشيء، وهو بين الدَّلالة.

والأصل الآخَر قولهم: تَدَلْدَل الشَّيءُ، إذا اضطرَبَ، [5]ودلَّلَت بهذا الطريق عرفته، ودلَلتُ به أَدُلُّ دلالةً . وقال ابن دُريد الدَّلالة، بالفتح حرفة الدَّلاّل وهو الذي يجمع بين

[4]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص8، 9.

[5] - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء ، مقاييس اللغة، تحقيق و ضبط عبد السلام محمد هارون .ط1-1411هـ ،1991م -دار الجيل -بيروت (دلل) 263

البَيعَين .[6]الدل: حالة السكينة وحسن السيرة وهذا قريب المعنى من الهَدي، لدَّلال: الوقار. والدليل مفرد الجمع منه أَدِلَّة وأدلاء، والدلالة جمع دلائل: ما يقوم به الإرشاد أو البرهان، أو المُرشِد، ودَلَّ دَلَلاً الرجل: تغنَّجَ وتلوّى، وأَدَلَّ إدلالاً عليه اجترأ عليه. والدالَّة مؤنث الدّال: ما تَدُلُّ بِهِ على صديقِكَ. [7]

- **اصطلاحا** : « هي كون الشيء بحاله يلزم مع العلم به العلم بشيء آخر، أوّل هوالدّال والثّاني هو المدلول وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص ووجه ضبطه،[8] واصطلح عليها الآمدي بقوله" فإن كان الدالّ لفظاً فالدلالة لفظية، وإن لم يكن لفظاً فالدلالة غير لفظية كدلالة الخطوط والنُّصُب والإشارات".[9]

والآن نشرع في دراسة أقسام علم المعاني، ونبدأ أوّلا بالكلام عن الخبر والإنشاء وروح معانيه في آيات سورة النساء.

المبـــحث الأوّل: الخبـــر والإنشـــاء.

مطلـــــب1 : الخبـــــر

أولا – تعريـــــف:

الخبر هو كلام يحتمل دخول الصدق والكذب، فكلّ ما كان مطابقا للكلام الخارجي كان صادقا وإذا كان غير مطابق فهو كذب[10].

---

[6] – اللسان لسان العرب لابن منظور، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان ،ط1،1424 هـ – 2003م– مادة (دلل) 248/11

[7]– مجد الدّين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزآبادي ت.817هـ، القاموس المحيط – دار الكتب العلميّة ، بيروت لبنان، الطبعة 1 –1415 هـ–1995 م.(دل) 3 / 516.

[8]– أبو حسن علي الشريف الجرجاني، التعريفات، دار التونسية للنشر والتوزيع،1971م ص 139

[9]– علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام تحقيق ط عبد الرزاق عفيفي –ط1–1424 هـ –2003 م –المملكة العربية السعودية 32/1

[10]– مصطفى الصاوي البحويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية–مصر،1985م، ص15.

ومن الأخبار المقطوع بصحتها ولا تحتمل الكذب البتة أخبار الله تعالى؛ أي كلّ ما يخبرنا به الله تعالى، وأخبار رسله عليهم السلام، والبديهيات المألوفة مثل: السماء فوقنا، والأرض تحتنا والشّمس تشرق من الشرق وتغرب من الغرب، وماء البحر مالح.

أمّا من الأخبار المقطوع بكذبها ولا تحتمل الصدق الأخبار المناقضة للبديهيات، كقولنا الأسبوع خمسة أيام، أو أنّ أجزاء أكبر من الكلّ، وكقولنا: الأمانة رذيلة، والخيانة فضيلة، فهي حقائق ثابتة.

ثانيا – أضربـــــه:

1– " أن يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحال يلقي إليه الخبر خاليا من أدوات التوكيد، ويسمى هذا الضرب من الخبر: "ابتدائيا".

2– أن يكون المخاطب مترددا في الحكم شاكّا فيه، فينبغي للوصول إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه، ويحلّ فيها اليقين محلّ الشك، ويسمّى هذا الضرب من الخبر: "طلبيا".

3– أن يكون المخاطب منكرا لحكم الخبر، وفي هذا الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر، على حسب درجة إنكاره من جهة القوة والضعف، ويسمى هذا الضرب من الخبر "إنكاريا""[11].

ثالثا – مؤكـــداتـــه:

من مؤكدات الخبر كما يحددها الدكتور عبد العزيز عتيق في كتابه: "علم المعاني" كالتالي: "إنّ، لام الابتداء، الحروف الزائدة، وأحرف التنبيه، وأمّا الشرطية، السين، قد، ضمير الفصل، والقسم، ونونا التوكيد"[12].

ومن أمثلة ذلك في سورة النساء –السورة المباركة– نذكر الأضرب الآتية:

---

[11]–عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت–لبنان، ص52–53

[12]– المرجع نفسه ،ص55.

في قوله تعالى: { يَوْمَئذ يَوَدُّ الذّين كَفَرُوا وَعَصَوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بهم الأَرْضُ ولاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَديثًا} النساء/42.

ففي هذه الآية الكريمة إخبار عنهم –الكافرين– بأنّهم يعترفون بجميع ما فعلوه، ولا يكتمون منه شيئا، وتخلو هذه الآية من أدوات التوكيد، فالنّوع من هذا الخبر ابتدائي.

وقوله تعالى: {فَلاَ وَرَبّكَ لاَ يُؤمِنُونَ حتَّى يُحَكِّمُوكَ فيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم} النساء/الآية 65.

ففي هذه الآية نجد القسم في قوله: ﴿ فَلاَ وَرَبّكَ﴾ حيث يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنّه لا يؤمن أحد حتى يحكّم الرسول صلى الله عليه وسلّم، في كلّ أمورهم فيما يحكم به يجب الانقياد به.

والضرب من هذا الخبر في هذه الآية إنكاري مؤكد بأداة واحدة، وهي: "القسم"، ونذكر كذلك قوله: : { إنَّ اللهَ يَأْمُرُكُم أنْ تُؤَدُّوا الأمَانَات إلى أَهْلهَا وإذَا حَكَمْتُم بينَ النَّاس أنْ تَحْكُمُوا بالعَدْلِ إنَّ اللهَ نعمَّا يَعِظُكُم بهِ إنَّ اللهَ كانَ سَميعًا بَصيرا} النساء/58.

ففي هذه الآية يخبر الله تعالى أنّه يأمر عباده بأداء الأمانات إلى أهلها، كما أمر تعالى بالحكم بالعدل بين الناس، كما يؤكّد على أنّه هو السّميع لأقوالهم، وهو البصير بأفعالهم، نلمح هنا مؤكّدين، وتتمثل كلّها في إنّ المكسورة الهمزة والمشددة، النون، وهذه الأخيرة التي تنصب الاسم وترفع الخبر.

وفيما يخصّ أمّا الشرطية المفتوحة الهمزة والمشددة الميم، وهي حرف شرط وتفصيل وتوكيد، نذكر المثال الآتي: في قوله تعالى: : { فَأَمّا الذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات فيوفيهُم أُجُورَهُم وَيَزيدُهُم من فَضْلِهِ وأمّا الذينَ استَنكَفُوا واستَكبَرو فَيُعَذّبُهُم عَذَاباً أليمًا ولاَ يَجدُونَ لَهُم من دُون الله وليّاً وَلاَ نَصيراً} النساء/173.

أي أنّه من آمن بالله عزّ وجلّ وعمل صالح يعطيه من الثواب على ما قد عمل ويزيده على ذلك من فضله وإحسانه ورحمته فهو الرحيم والمنّان، أمّا الذين امتنعوا عن طاعته وعبادته، واستكبروا عن ذلك فلهم العذاب الأليم، وهذه الآية إخبار عن حال المؤمن وجزاءه، وحال الكافر وعقابه.

وهذا النوع من الإخبار إنكاري مؤكد بمؤكدين هما: أمّا الشرطية، ومثالا كثير في هذه السورة العظيمة.

أمّا في قوله تعالى: : { وَلاَ تَنكحُوا ماَ نَكَحَ آباؤُكُم منَ النّسَاء إلاَّ ماَ قَد سَلَفَ إنَّهُ كانَ فَاحشَةً وَمَقْتاً وَسَاء سَبيلاً} النساء/22.

"حيث زعم السهيلي أنّ نكاح نساء الآباء كان معمولا به في الجاهلية، لهذا قال: :﴿ إلاَّ ماَ قَد سَلَفَ﴾[13].قد: التي تفيد التحقيق، ففي هذه الجملة تفيد التوكيد، أي أنّه في هذه الآية يستثني بإلاّ الزواج الذي كان في الجاهلية، وأكّد بقد، وهذا النوع من الضرب إنكاري مؤكد بمؤكد واحد.

أمّا في قوله تعالى: {يَستَخْفُونَ منَ النَّاس ولاَ يَستَخْفُونَ منَ الله وَهُوَ مَعَهُم إذْ يُبَيّتُونَ مَا لاَ يرْضى منَ القَول وَكَانَ اللهُ بمَا يَعمَلُونَ مُحيطًا }.في هذه الآية إنكار على المنافقين في كونهم يستخفون بقبائحهم من الناس لئلا ينكروا عليهم، غير أنّ الله عالم بما في قلوبهم، وفيها تأكيد بالضمير المنفصل "هو" فلو لم يكن الضمير المنفصل هنا لتغير معنى الآية، لهذا قال: {وَهُوَ مَعَهُم إذْ يُبَيّتُونَ مَا لاَ يرْضى منَ القَول وَكَانَ اللهُ بمَا يَعمَلُونَ مُحيطًا}تهديدا لهم ووعيدا".[14]

-مطلـــــــب2: الإنشـــــاء.

في المطلب السابق عرضنا للخبر وتكلمنا عن مفهومه، وأضربه، ومؤكداته، ننتقل الآن إلى القسم الثاني من الكلام وهو الإنشاء.

"فإذا كان الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب، فإنّ الإنشاء هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته" [15]، وهو الكلام الذي ينشئه القائل لطلب حدوث فعل أو نهي، أو

---

[13]– ابن كثير: مختصر تفسير ابن كثير، 448/1.

[14]– المرجع نفسه، ص528.

[15]– ينظر: مصطفى الصاوي البحويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية–مصر، 1985، ص69.

استفهام، أو نداء، أو تمنّ، بالإضافة إلى الأساليب الإنشائية غير الطلبية، وهما قسما الإنشاء الطلبي، وغير الطلبي.

أولا: الإنشـــاء غير الطلبـــي:

وهو ما لا يستدعي مطلوبا، وله أساليب وصيغ كثيرة منها: صيغ المدح والذمّ والتعجب، القسم، الرجاء، وغيرها من الأساليب الأخرى

ففي قوله تعالى: تعالى: {الذينَ يَبْخلُونَ وَيَأمُرُونَ النَّاسَ بالبُخْل وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُم اللهُ من فَضلِهِ واعتَدْنَا للكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا }الآية 37.

يقول تعالى: (أمّا الذينَ يَبْخلُونَ بأموالهم أنْ يُنفقوها فيما أمَرَهُم اللهُ به منَ الوالدَينِ والإحسَان إلى الأَقَارب، واليَتَامَى والمَسَاكين، والجَارِ ذي القُربَى، وَالجَارِ الجنب، والصّاحب الجنب وابن السّبيلِ وَمَا مَلَكَت أيمانُكُم من الأرقاء، ولاَ يَدفَعُونَ حقَّ الله فيهَا، وَيَأمُرونَ النّاسَ بالبُخلِ أيضًا ﴾[16]

ومن صيغة القسم قوله تعالى: {اللهُ لاَ إلَهَ إلاَّ هُو لَيجْمَعَنَّكُم إلى يَومِ القِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فيهِ وَمَنْ أصْدَقُ منَ اللهِ حَديثاً } الآية 87.

ففي قوله تعالى: {اللهُ لاَ إلَهَ إلاَّ هُو } إخبار بتوحده وتفرده بالإلهية لجميع المخلوقات فهو الواحد الأحد، "واللام في (ليجمعنّكم) موطئة للقسم، فقوله: ﴿اللهُ لاَ إلَهَ إلاَّ هُو﴾ خبر وقسم أنّه سيجمع الأوّلين والآخرين في صعيد واحد"[17].

وللأمثلة على ذلك كثيرة والصيغ متعددة لا يسعنا المقام لذكرها كلّها، وما يهمّنا في هذا المقام هو الإنشاء الطلبي.

ثانيا :الإنشـــــاء الطلبـــــي:

"وهو ما يستدعي مطلوب غير حاصل وقت الطلب، وهو خمسة أنواع: الأمر، النهي، الاستفهام، التمني والنداء"[18].

---

[16]- ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، 473/1.

[17]– المرجع نفسه، ص508.

1 – الأمـــــر:

"وهو طلب تحقيق شيء ما، ماديّ أو معنوي، وتدلّ عليه صيغ كلامية أربع هي: فعل الأمر، المضارع الذي دخلت عليه لام الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر"[19].

ومثال ذلك قوله تعالى: {وَآتوا اليَتَامَى أَموَالَهُم وَلاَ تَبَدَّلُوا الخَبيثَ بالطَّيب} الآية02.

ففي هذه الآية يأمر الله تعالى بدفع أموال اليتامى إليهم، وجاء الأمر هنا بفعل الأمر (أتَوا)، وجاءت بصيغة الاستعلاء فهو الآمر الناهي الذي يأمر عباده.

وكذا قوله: {وَلَيَخْشَ الذينَ لَوْ تَرَكُوا من خَلفِهِم ذُرّيَةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيهِم، فَلَيَتَّقُوا اللهَ، ولَيَقُولوا قَوْلاً سَديدًا} الآية: 09.

"ففي هذه الآية ثلاثة أوامر جاءت بصيغة (لِيَفْعَلْ): (وَلَيَخْشَ، فليَتَّقُوا، ولْيَقُولوا) جعل سبيل الوقاية للذرية الضعيفة مما يخاف عليها من العاديات ثلاثة:خشية الله عز وجلّ وتقواه والقول السديد، ثلاثة تشكل سياج الأمن والعلمانية البالغة على كيان الذرية، وجودا وسعادة، وهذه الثلاثية: البعد عمّا حرّم الله، واتقاء الاقتراب ممّا حرّم بترك بعض ما لا بأس كما هي حقيقة التقوى وسداد القول"[20].

كما نذكر قوله تعالى: {وَالمُحصنَاتُ منَ النّسَاء إلاَّ مَا مَلَكَت أَيمَانُكُم.... } النساء/24.

"فتقدير الكلام الزموا كتاب الله المفروض عليكم" [21]؛ أي الالتزام بما أحلّه الله سبحانه وتعالى وترك ما حرّمه عليهم، ففيه تحذير من الزواج بالأجنبيات المحصنات إلاّ ما ملكت أيمانهم، وفيه إيجاز.

---

[18]– مصطفى الصاوي البحويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، ص71.

[19]– عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، 228/1.

[20]– محمود توفيق محمّد سعد، صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم، مطبعة الأمانة، ط1، 1994، ص16، 17.

[21]– المرجع نفسه، ص48.

2- الاستفهـــــام:

"والاستفهام كما نعلم: هو طلب العلم بالشيء لمعرفته إذا لم يكن معلوما من قبل وأدواته: الهمزة، وهل، وما، وفي، وأين، كيف، وأيّن، وكم، وأيّ"[22].

ومثال ذلك قوله تعالى: {وَإِنْ أَرَدْتُمْ استِبدالَ زَوْج مَكَانَ زَوج وَءاتيتُم إحدَاهنَّ قنطَارا فَلاَ تأخذُوا منه شيئا أتأخذُونَهُ بُهتَانًا وإثْمًا مُبيناً} الآية 20 .

"﴿أتأخذونه بهتانا وإنما مبينا﴾ استئناف مسبوق لتقرير النهي والاستفهام للإنكار والتوبيخ"[23].

وكذا قوله: {ألم ترى إلى الذين يزكون أنفسكم بل الله يزكى من يشاء ولا تظلمون فتيلا } الآية: 49.

وقوله: {ألم ترى إلى الذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك }الآية: 60.

فكلا الآيتين فيهما "الاستفهام جاء تقريري"[24].

ومن مواضعه أيضا قوله تعالى: {كيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا}الآية: 21.

"كيف اسم للإستفهام الانكاري"[25].

أمّا في قوله: {وماذا عليكم لو امنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا ممّا رزقهم الله وكان الله عليما}الآية: 39.

(فقد خرج الاستفهام هنا للتوبيخ والذم والإنكار)[26].

---

[22]- ينظر: عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1986، ص104.

[23]- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 244/4.

[24]- محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 237/5.

[25]- عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، مكتبة الغزالي، فحامة- دمشق، ط1، 2000م، ص 34.

[26]- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وفي قوله: {ومن أصدق من الله حديثا }جزء من الآية 87.

"استفهام إنكاري، والتفصيل باعتبار كمية الأخبار الصادقة لا الكيفية، إذ لا يتصور فيها تفاوت لما أن الصدق المطابقة للواقع وهي لا تزيد"[27].

3-النهـــــــي:

(والنّهي محذو حذو الأمر؛ أي مقترن به في أنّ أصل الاستعمال: لا تفعل تكون للاستعلاء كما يفيد الوجوب، وطلب الترك، أو على سبيل التضرع، ويسمّى الدعاء، كما قد يكون التماسا الإباحة، التهديد)[28].

ولقد ورد في سورة النّساء في مواضع مختلفة، مقترنة في معظمها بالنداء والأمر، لقوله تعالى: {وآتوا اليتامَى أَموالَهُم ولاَ تتَبدَّلُوا الخَبيثَ بالطَّيّبِ وَلاَ تَأْكُلُوا أموَالَهُم إِلَى أموالَكُم إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبيرَا } الآية/ 02.

جاء النّهي في هذه الآية مقترنا بالأمر (وآتوا)، وهو (لا تتبدلوا)، (لا تأكلوا)، ففيها تأكيد وتشديد على ترك هذين العملين، وتأكيد ذلك بأداة النّصب (أن)، ومآل كلّ من يعمل بعكس ما أمرنا به الله تعالى الإثم العظيم كما ذكر في الآية "حوباً؛ أي الإثم العظيم" [29]، وتكرار هذا النهي جاء لحماية حقوق اليتيم.

وكذا في الآية{فَإِنْ آنَستُمْ منهُم رُشدًا فادفَعُوا إليهُم أموالَهُم ولاَ تأكُلُوها إسرافاً } الآية: 6، نهي عن الأكل بإسراف، وإسرافا تدلّ على اللّهف البشع في أكل مال اليتيم.

وترى ذلك أيضا في الآية التي قبلها ﴿وَلاَ تُؤتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ } الآية: 5. حيث يستفاد من صيغة النّهي التكليف الإلزامي بالترك وعدم الفعل.

---

[27]– الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 4/ 244.

[28]– ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص429.

[29]– الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده السنبكي، عالم الكتب، ط1، 1988، 8/2.

3- التمنّـــــي:

"وهو طلب أمر محبوب أو مرغوب فيه، والأداة التي يتمنى بها هي كلمة "ليت" [30]، فالتمني إذا (هو طلب للحصول على الشيء، قد يكون بعيد المنال أو ميئوسا منه)[31].

ومن حروف التمنّي "الحروف المسمّاة بحروف التنديم والتخصيص، وهي (هلا)، و(ألا)، و(هل)، و(لولا)، و(لوما) مأخوذة منها مركبة مع (لا) و(ما) المزيدين لهل معنى التمني)[32].

ونذكر أمثلة قول التمني في سورة النساء المباركة وأمثلتها كثيرة كقوله تعالى: {ولَئنْ أَصَابَكُم فَضْلٌ منَ الله ليقولنّ كأن لم تكن بينكم وبَيْنَهُم مَودَّةٌ يا لَيتَني كنتُ مَعَهُم فَأَفُوزَ فَوزًا عَظيمًا } الآية 73.

(وجاء ذلك إيرادا بالتهكّم لأنّهم كانوا ألدّ عدوّ للمؤمنين وأشدّهم حسدا لهم، والفوز معنى التمني، فيكون متمنين جميعا)[33].

وهناك أساليب أخرى يفهم من خلالها أسرار الآيات القرآنية، ونذكر بعضها كالآتي:

وقوله تعالى: {وَدُّوا لَوْ تَكفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فتَكونُونَ سَوَاء فَلاَ تتَّخذُوا منهُم أولياَءَ حَتَّى يُهَاجرُّوا في سَبيل الله فَإنْ تَولَّوا فَخُذُوهُم واقتُلُوهم حيثُ وَجَدتُمُوهُم وَلاَ تتَّخذوا منهُم وليًّا ولاَ نَصيراً } الآية/ 89.

(لو نصب على جواب التمنّي واقتران ودّ بأداة (لو) دلّ على التمني)[34].

أي تمنى الكفار لكم الضلالة حتى يستوي الكلّ مع بعضه في الاثم، ماذاك إلاّ لشدّة عداواتهم وبغضهم للمؤمنين، وهذا دليل على استحالة كفر المؤمنين.

---

[30]- عبد الرّحمن حسن حنبكه، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، 1/ 25.

[31]- ينظر: المرجع نفسه، ص233.

[32]- السكاكي: مفتاح العلوم، ص418.

[33]- ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 106/2.

[34]- الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 2/ 123.

4-النـــــــداء:

"وهو طلب الإجابة لأمر ما بحرف من حروف النّداء ينوب مناب "أدعو" وأدواته (أ، أي، يا، أ، أي، أيّا، هَيَا، وا)"[35].

كقوله تعالى: {يا أَيُّهَا النَّاسُ اتّقُوا ربَّكُم } الآية/ 01.

جاء فيها النداء للجميع، فقد شمل جميع أمّة الدعوة غير مختص بالمؤمنين فقط، بل شمل جميع الخلق وكان ذلك باستعمال (يا)، على خلاف الآية التالية: {يَا أَيُّهَا الذّينَ آمَنُوا لاَ يَحلُّ لَكُم أن تَرثُوا النّسَاء كَرْهًا} الآية 19.

حيث نودي لفئة خاصة وهم الذين آمنوا حتى يقبل النّهي عن أخذ الميراث من النساء، وذلك ما كان شائعا في الجاهلية، (حيث نزلت هذه الآية بعدما نهى الله سبحانه وتعالى فيما تقدّم عن عادات أهل الجاهلية من أمر اليتامى والأموال عقبه بالنهي عن الاستنان سوغ من سننهم في النساء أنفسهنّ وأموالهنّ)[36].

وأمّا قوله تعالى: {يا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لاَ تَأكُلُوا أَموالَكُم بينَكُم بالباطل } الآية29، فيها نداء للذين آمنوا والنهي لهم عن أكل أموالهم بالباطل[37].

وقوله تعالى: {يا أَهلَ الكتَاب لا تَغْلُو في دينكُم } الآية/ 171.

هذا خطاب جاء لأهل الكتاب من النصارى، إرشادا وتشبيها إلى ما هو خير، ﴿انتهوا خَيْرٌ لكُم ﴾، حيث يفهم صمتها أنّ هناك تهديدا،﴿إنّما اللهُ إله واحدٌ ﴾ تأكيدا على وحدانية الله، كما ختمت هذه السورة العظيمة بنداء أيضا، ولكنّه كان يهدف النّاس كافة، وفيه إرشاد للجميع ترغيبا في الإيمان في قوله تعالى: { يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم برهَانٌ من رَبِّكُم وأَنْزَلْنَا إِلَيكُمْ نُوراً مُبينًا} الآية 174.

"فجملة (أنزلنا) جملة استئنافية معطوفة على جملة جواب النداء (قد جاءَكُم بُرهَانٌ) [38]، وغرضها تبيان وإظهار الحق.

---

[35]- عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، 1/ 25.

[36]- ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 4/ 241.

[37]- ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، 638/2.

-المبحث الثاني: الالتفات

-تعريـــــفه:

"الالتفات من فعل "لفت" ولفَتَ وجهه عن القوم صرفه، وعرفه أبو هلال العسكري، وقال: "الالتفات على ضربين: فواحد أن يفرغ المتكلّم من المعنى، فإذا ظننت أنّه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدّم ذكره به"[39].

وكما يعرّفه ابن رشيق في كتابه العمدة في باب الالتفات : "بأنّه هو الاعتراض جلّ عند قوم، وسمّاه آخرون الاستدراك، حكاه قدامة، وسيلة أن يكون الشاعر آخذا في معنى ثمّ يعرض له غيره، فيعدل عن الأوّل إلى الثاني فيأتي به، ثمّ يعود إلى الأوّل من غير أن يخلّ في شيء ممّا يشد الأوّل"[40].

كما أنّ الظاهرة اللغوية التي تتمثل في الالتفات "تدور حول محور دلالي واحد هو التحوّل أو الانحراف عن المألوف من القيم، أو الأوضاع أو أنماط السلوك"[41].

والالتفات أربع صياغات:

مطلب1: الالتفات من التكلّم إلى الغيبة

ومنه قوله تعالى: {وَلكُلّ جَعَلنَا مَوَاليَ ممَّا تَرَكَ الوالدَان والأَقْرَبُونَ والذينَ عَقَدَت أيمَانُكُم فآتوهَم نَصيبَهُم إنَّ اللهَ كانَ عَلَى كُلِّ شَيْء شَهِيدًا} الآية33

الالتفات في قوله تعالى:

---

[38]– محمّد وصافي، الجدل في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، 5/ 260.

[39]–إنعام فوّال عكاوي، المعجم في علوم البلاغة البديع، البيان، والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط2، 1996، 2/ 207.

[40]– ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمّد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت–لبنان، ط4، 1972، ص263.

[41]– حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة، دار الفكر العربي، 1998، ص11.

{ان الله كان على كل شيء شهيدا} وجاءت بصيغة الغيبة في لفظ الجلالة؛ أي "أنّه لم يزل سبحانه عالما بجميع الأشياء مطّلعا عليها جليّها وخفيّها، ويجازي كلا من المانع والمؤتي على حسب فعله"[42].

ولقد بدئت هذه الآية بصيغة التكلّم "وجعلنا" حيث جعل الله سبحانه وتعالى لكلّ الورثة نصيبا ممّا ترك الوالدان والأقربون، ثمّ ختمت بالعودة إلى ذكر اسم الجلالة بصيغة الغيبة، وهو جلّ جلاله الشهيد على كلّ شيء، والداعي بهذا الالتفات حاجة السياق إلى لفظ الجلالة، فهو الله الذي لا تخفى عليه خافية، الجامع لصفات الكمال.

وفي قوله تعالى: {إنّا أنزلنا إليك الكتابَ بالحقّ لتَحكُمَ بَيْنَ النَّاس بماَ أراكَ اللهُ وَلاَ تَكُن للخَائنينَ خَصيمَا}الأية 105.

الالتفات في قوله: ﴿بما اراك الله﴾ وذلك بصيغة الغيبة بعد صيغة التكلم.

وجاء هذا الالتفات تعظيما للحكم الذي سيحكم به، كما يبيّن له سبحانه وتعالى ذلك في كتابه العظيم واللجوء إليه كلّما عسر عليه الأمر أو غمض توكّل عليه عزّ وجلّ.

- مطلـــــب 2: الالتفات من الغيبة إلى التكلّم.

جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿مَن يَفعل ذلك ابتغاء مَرضَات اللهِ فَسَوْفَ نُؤتيهِ أَجْرًا عَظيمًا } الآية 114.

الالتفات في قوله: "نؤتيه" جاء بصيغة التكلّم بعد الغيبة؛ أي أنّ الله تعالى يخبر عن جزاء المؤمنين (فقد ذكر الآمر بالخير ليدل به على فاعله لأنّه إذا أدخل الأمر به في زمرة الخير كان الفاعل فيهم أدخل)[43].

ففي هذه الآية تقرير لحال الآمر بالخير.

وكذلك في قوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَد جَاءَكُم بُرهَانُ من ربّكُم وأنزلنا إليكم نورا مبيناً } الآية174.

---

[42]– الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 23/5.

[43]– ينظر:الزمخشري،الكشاف عن حقائق اغوامض التنزيل و عيون الاقاويل في وجوه التأويل149.

الالتفات في (أنزلنا)، حيث يخبر تعالى جميع النّاس بأنّه قد جاءهم منه برهان عظيم، وهو القرآن العظيم المنزّل على سيّدنا محمّد بواسطة جبريل عليه السّلام.

(ففحوى القرآن التصوّر الذي يحمله، والمنهج الذي يقرره، والنظام الذي يرسمه) [44]، ففيه البرهان كلّ البرهان على المصدر الذي جاء منه وعلى أنّه ليس من صنع الإنسان لأنّه يحمل طابع صنعة كاملة تدلّ على كمال الله عزّ وجلّ.

فالالتفات في هذه الآية جاء بصيغة التكلّم (أنزلنا) بعد الغيبة.

مطلـــــب3: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

ومنه قوله تعالى: {يا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنتُم سُكارى حتَّى تَعْلَمُوا ماَ تقولُونَ وَلاَ جُنُباً إلاَّ عَابري سبيل حتّى تَغتَسِلُوا وإن كُنتُم مَرْضَى أو عَلَى سَفَرٍ أو جَاءَ أَحَدٌ منكم من الغَائطِ أَوْ لاَمَسْتُم النّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعيدًا طَيّباً فَامسَحُوا بوُجُوهكُم وأيديكُم إنَّ اللهَ كانَ عَفُوًّا غَفُوراً }الآية 43.

الالتفات في قوله: (أو جاء أحد منكم) فقد التفت من الخطاب إلى الغيبة (لأنّه كناية عمّا يستحيا من ذكره، فلم يخاطبهم به وهذا من محاسن الكلام"[45].

وفي قوله: {وَمَا أَرسَلْنَا من رَسول إلاّ ليُطاعَ بإذن الله وَلَوْ أَنَّهُم إذْ ظَلَمُوا أنفُسَهُم جَاءوكَ فَاستَغفَروا اللهَ واستغفَرَ لَهُم الرَّسُولُ لَوَجَدوا اللهَ توَّابا رَحيمًا } الآية 64، حيث نرى الالتفات في قوله تعالى: (واستغفر لهم الرّسول) "إذ لم يقل "استغفرت"، وذلك خروجا من الخطاب إلى الغيبة لما في هذا الاسم الظاهر من التشويق والتنويه بوصف الرسالة"[46].

فسياق الكلام يقتضي أن يقول: استغفرت لهم ولكنّه عدل عن ذلك للتنويه بالرسول ويدلّ عليه دلالة مؤثرة في قلوبهم ولاشتماله ذكر صفة مناسبة؛ وهي الاستغفار لمن تعاظمت ذنوبهم وتعددت آثامهم.

---

[44]– ينظر:سيد قطب،في ظلال القرآن،822/2

[45]– الدرويش، إعراب القرآن وبيان معانيه، دار ابن كثير، حلبوني، دمشق، ط4، 1999، 30/2.

[46]– السمين الحلبي، الدرّ المصون في كتابه المكنون، 4/ 18، 19.

مطلـــــب4: الالتفـــات من الغيبـــة إلى الخطاب:

ممّا جاء في سورة النساء من هذا اللون من الالتفات قوله تعالى: {وَمَا أَرسَلْنَا من رَسول إلاّ ليُطاعَ بإذن الله ولَوْ أَنَّهُم إذْ ظَلَمُوا أنفُسَهُم جَاءوكَ فَاستَغفَروا اللهَ واستغفَرَ لَهُم الرَّسُولُ لَوَجَدوا اللهَ توَّابا رَحيمًا فَلاَ وَرَبّكَ لاَ يؤمنوا حتَّى يُحكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بينَكم ثمّ لا يجدوا في أَنْفُسِهِم حَرَجًا ممّا قَضَيتَ وَيُسلِّمُوا تَسْليمَا} الآية (64، 65).

فالالتفات هنا في "وربّك"؛ أي فوربّك ، "ولا" مزيدة لتأكيد معنى القسم لا لتأكيد النفي في جوابه"[47].

ومثال ذلك أيضا قوله تعالى: {وَمَنْ يُطِع الرَّسُول فقدِ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَولّى فَمَا أرْسَلْنَاكَ علَيهم حفيظًا} الآية 80.

إنّ وظيفة الرسول عليه الصلاة والسلام هي أداء الرسالة، لا إحداث الخير ولا إحداث السوء فهذا من أمر الله فالله شهيد على أنّه أرسل النبي المحمود أحمد للبشرية، فمن أطاع الله فقد أطاع الرسول عليه الصلاة والسلام.

"والرسول ليس مكلفا أن يحدث الهدى للمعرضين المتولين، ولا أن يحفظهم من الأغراض والتولي بعد البلاغ والبيان" [48].

وفي هذه الآية نجد موضعين من الالتفات، الموضع الأول في قوله تعالى:﴿ فَمَا أرْسَلْنَاكَ﴾ بضمير المخاطب (الكاف)، وذلك بعد ذكره –صلى الله عليه وسلم– بصيغة الغائب في قوله تعالى:﴿وَمَنْ يُطِع الرَّسُول ﴾ فالالتفات كما نرى من الغائب إلى المخاطب .

أمّا الموضع الثاني: الالتفات من الغائب إلى لفظ الجلالة (الله) في قوله تعالى: ﴿ فقدِ أَطَاعَ الله) إلى المتكلم في قوله تعالى:﴿ فَمَا أرْسَلْنَاكَ﴾ بضمير (نا).

---

[47]– الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 70/5.

[48]– سيد قطب، في ظلال القرآن، 2/ 719.

المبحـــث الثالـــــث: التقديـــــم والتأخيـــــر:

التقديم والتأخير باب من أبواب التي ذكرها عبد القاهر الجرجاني لتطبيق فكرة النظم، ولأهمية التقديم يقول: "هو باب كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، ولا يزال يفتر(يكشف) لك عن بديعه، ويفضي (يوصلك) بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء وحُوّل اللفظ من مكان إلى مكان"[49].

ويقول فيه ابن فارس: "أنّه من سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر، وتأخيره وهو في المعنى مقدّم"[50]

نذكر بعض الأمثلة من تقديم وتأخير من سورة النساء العظيمة ومثال ذلك تقديم وتأخير الخبر، قوله تعالى:﴿لِلرِجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوَلِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمّاَ قلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوَضًا} الآية 07.

فهذه الآية نزلت كون المشركين كانوا يجعلون المال للرجال الكبار ولا يورثون النساء بل يرثونهم ونلاحظ في هذه الآية (للرجال جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم، أمّا نصب فهو مبتدأ مؤخر)[51]، والغاية من هذا التقديم إبانة مكانة الخبر وأنّه لكل ذي حق حقه فلكل منهم نصيبه سواء من الرجال أو النساء.

وكذلك في قوله تعالى: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ في الكَلاَلَة أَنْ إِمْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهُ نِصْفَ مَا تَرَكَ}جزء من الآية 176.

((ولد) اسم ليس مؤخر مرفوع، وكذلك (أخت) مبتدأ مؤخر مرفوع)[52].

---

[49]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 106.

[50]– ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطبّاع، مكتبة المعارف، بيروت–لبنان، ط1، 1993م، ص 244.

[51]– ينظر: محمد وصافي، الجدول في أعر اب القرآن و صرفه وبيانه، دار الرشيد، دمشق، بيروت، ط3، 1995م، 444/2.

[52]– ينظر: الدرويش، اعراب القرآن وبيان معانيه، دار ابن كثير، حلبوني– دمشق، ط7، 1999م، 875/2.

أمّا فيما يخص تقديم المفعول به عن الفاعل مثال ذلك قوله تعالى: {وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُوا القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفًا} الآية 08.

((حضر) فعل ماضي، (القسمة) مفعول به مقدم) [53]، فتقديم القسمة على (أولي القربى) أي المفعول به جاء من باب الاحسان والرحمة عليهم في أخذ النصيب من الميراث.

أمّا مثال تأخير المفعول به نذكر قوله تعالى: {وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ} الآية 32.

((فضل) فعل ماضي، (الله) لفظ جلالة فاعل مرفوع، (بعض) مفعول به منصوب مؤخر)[54].

وعن تأخير نائب الفاعل قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ }جزء من الآية 23، (أمهات) نائب فاعل للفعل المبني للمجهول (حرمت) حيث حلّ مكانه الجار والمجرور (عليكم) .

كما نذكر بعض الأمثلة حول تقديم الجار والمجرور بقوله تعالى: {وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ} جزء من الآية 33.

تقديم الجار والمجرور (لكل) وهو المفعول الثاني قدم على عامله حيث أنّ (أصل الكلام وجعلنا لكل موالي، (موالي) مفعول به أول)[55].

وقوله تعالى: {أُولَئِكَ هُمْ الكَافِرُونَ حَقًا وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} الآية 151.

تقديم الجار والمجرور (الكافرين) على المفعول به (عذابا مهينا)، وهذا دليل على اختصاص هذا العذاب بالكافرين، وأمثلة ذلك كثيرة في هذه السورة المباركة.

المبحث الرابع :الذكر والحذف:

إنّ من الخصائص التي تتميز بها اللغة الإيجاز، والذي يظهر من خلال ظاهرة الحذف، فالكلام إذا تكرر فيه المعنى، وإعادة اللفظ يؤدي بالمتلقي إلى الملل والنفور لها

---

[53]– ينظر: محمد وصاني، الجدول في اعراب القرآن وصرفه وبيانه، 2/ 445.

[54]– ينظر: الدرويش، اعراب القرآن وبيان معانيه، 2/ 474.

[55]– ينظر: السمين الحلبي، الدّر المصون في كتابه المكنون، 3/ 667.

في ذلك من زيادة، كما تكون هناك فائدة كبيرة عن ذكر بعض الألفاظ في الجملة حيث لا يمكن الاستغناء عنها أو لداع يتطلب ذكر عنصر.

فلكل من الذكر والحذف عند المتكلم البليغ تحقيق وتوصيل للمعاني التي يريد ها، ولكل واحد منها تأثير مختلف في المخاطب بحسب حاله، كما أنّه لكل واحد منهما بعد جمالي في الكلام، وكما قال فيه عبد القاهر الجرجاني: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذكر أوضح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبنْ. وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر"[56].

مطـــلب 1 : الذكـــــر:

للتعظيم قوله تعالى: {يُوصِيكُمْ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ للذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الأنثيين } الآية: 11. فكلمة (الله) ذكرت للتعظيم والتفخيم فهو الأمر والناهي الذي يوصي عباده في هذه الآية الكريمة بتقسيم الإرث، ولما لهذا الاسم من مكانة ووقار في أذهان المؤمنين، فإسناد هذا الأمر–الوصية بتقسيم الإرث–باسم الجلالة فإنّه لا يعطي للمؤمنين وهلة للتسليم بالأمر أو رده.

وفي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اِتَقُوا ربَّكُمْ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهَا رِجَالاً وَنِسَاء واتَّقُوا اللهَ الذِي يَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا} الآية: 01.

فعند التأمل في هذه الآية نجد أنّ اسم الجلالة ذكر في نهاية الآية وتكمن فائدة ذلك في أنه ذكر لتوضيح مضمون الجملة وتأكيده فهو في النهاية العليم بكل شيء والرقيب في كل زمان ومكان.

[56]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص146.

ومثال ذلك نجده في الآية الكريمة في قوله تعالى: {وَاسْتَغْفِرْ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} الآية: 106.

فعلى الرغم من تقارب كلا اللفظين إلاّ أنّه أعيد ذكره فالغرض البلاغي من ذلك هو التأكيد الشديد على أنّ الله غفور رحيم بعباده والحث على الاستغفار والترغيب فيه.

أمّا في قوله تعالى: {واللهُ أَعْلَمُ بأعدائكم وَكَفَى باللهِ وَلِيّا وَكَفَى باللهِ نَصِيرًا} الآية: 45.

معنى هذه الآية: (إذا أضمر لكم الأعداء السوء فالله وليكم يهديكم ويتولى أموركم شأن الولي مع مولاه)[57].

فذكر لفظ الجلالة في هذا المقام ثم إعادة ذلك دلالة على التبرك بالمعبود جلّ جلاله فهو النصير الذي ينصر عباده المؤمنين من الأعداء، فاللجوء إليه كافٍ وافٍ لنصرته، ومثال التبرك بالرسول عليه الصلاة والسلام نذكر قوله تعالى: {ومَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ واسْتَغْفَرَهُمْ الرَسُولُ لَوَجَدوا اللهَ تَوابا رَحيمًا} الآية: 64. (وذلك تبركا لاستغفاره)[58]

مطلب 2: الحـــــذف:

حذف الفعل في قوله تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَ تَعْدِلُوا} الآية: 03.

((واحدة) مفعول به لفعل محذوف، تقديره ألزم أي إلزموا واحدة)[59].

(فواحدة) هنا نابت عن الفعل أي يفهم منها على أنّها أمر بأخذ زوجة واحدة فقط حتّى يوفيها حقها بعدم قدرته على العدل بين الزوجات إذا تعددن.

---

[57]– ينظر: محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984م، 5/ 73.

[58]– ينظر: الزمخشري، الكشاف في حقائق غوامض التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل، 2/ 100.

[59]– ينظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، 612/1.

ومثال ذلك أيضا: في قوله تعالى: {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصي بِهَا أَوْ دَيْنٍ أبائكم وَأَبْنَاؤُكُمْ لاَ تَذَرُونَ أَيُّكُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعا فَرِيضَةٌ منَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمَا حكِيمَا} الآية:11.

فهنا الجار والمجرور (من بعد) متعلق بأعمال القسمة المذكورة في بداية هذه الآية، ومتعلق بفعل محذوف تقديره (يستحقون ذلك مِنْ بَعْدِ وَصِيَّة)،فكل ما ذكر في الآية مما فرضه الله سبحانه وتعالى حكم به وقضاه فهو الذي يضع الأشياء في محلها ويعطي كلا ما يستحقه بحسبه فهو العليم الحكيم.

وفيما يخص حذف المفعول به نذكر قوله تعالى: {ولأُضِلَّنَهُمْ ولأمنتهم فَلَيبتكن ءاذَانَ الأَنْعَامِ}الآية: 119

ففي هذه الآية حذفت مفعولات الأفعال الثلاثة للدلالة عليها أي: (ولأضلنهم عن الهدى ولأمننهم بالباطل، ولأمرنهم بالضلال)[60].

وقوله تعالى: {ولاَ يُؤْتُوا السُفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ التِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامَا وارْزَقوهُنَ فِيهَا وأكسوهنَ وقُولُوا قَوْلا مَعْرُوفا} الآية: 05.

("فقياما"مفعول به ثان للفعل (جعل)، أمّا المفعول به الأول فمحذوف والتقدير التي صيرها لكم قياما)[61].

وفي هذا الحذف أمثلة عدّة من هذه السورة المباركة نذكر أيضا قوله تعالى: {وَلْيَخْشَ الذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِيَة ضِعَافا خَافُوا عَلَيْهُمْ فَلْيَتَقوُا الله وليقولوا قولا سديدا } الآية: 09.

في هذه الآية إيجاز بالحذف وهو هنا في (حذف مفعول خافوا، لتذهب النفس في تقديره كل مذهب، ولتفنن في تصوير الخوف من المصدر المحتوم الذي يؤول إليه أمر

---

[60]– ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، 93/4.

[61]– ينظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه ، 1/ 617.

الصعاب في هذه الحياة) [62]، وفي هذا الحذف لطف وتعجيب مثلما قال الجرجاني كما ذكرنا سابقا.

أمّا في حذف الخبر قوله تعالى: {يُوصِيكُمْ اللهُ في أَوْلاَدِكُمْ للذَكَرِ مِثْلَ حَظُ الأنثيين } جزء من الآية: 11.

(للذكر) جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم حيث حذف الموصوف ونابت عنه الصفة وتقدير ذلك حظ مثل حظ الأنثيين) [63]، فكلمة مثل قامت مقام الحذف الذي طرأ في هذه الآية اجتنابا للتكرار.

كما نلاحظ حذفا للمضاف وتقديره (شأن أولادكم) [64]، وقال الكسائي: "ارتفع (مثل) على حذف (أن) تقديره: إن للذكر مثل حظ، وبه قرأ ابن أبي عبلة"[65].

أمّا في قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِ لِتحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُنْ للخَائِنِينَ خِصِيما} الآية: 105.

فأصل كلمة أراك هي أراكه فهي في هذه الآية حذف للهاء، (أي بما أراك الله، أراكه الله، فالكاف مفعول به أول، أمّا الهاء المحذوفة فهي مفعول به ثان لأن أرى هنا تتعدى إلى مفعولين)[66].

---

[62]– ينظر: المرجع نفسه،1/ 622.

[63]– ينظر محمد وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، 450/3.

[64]– ينظر: المرجع نفسه، ن ص

[65]– أيمن الشوّا، الجامع لإعراب جمل القرآن، مكتبة الغزالي، دمشق –بيروت، ط1، 2000م، ص 131.

[66]– ينظر: أبو البركات ابن الأنبا ري، البيان في غريب إعراب القرآن، تح: طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م، 6/ 266.

المبحـــث الخامـــــس: القصـــــــر

1-تعريف:

كما يعرفه الفيروز أبادي في القاموس المحيط فصل القاف ب: "القصر خلاف المدّ، واختلاط الظلام والحبس، والحطب الجزل، والمنزل"[67].

ومعنى القصر كما يعرفه السكاكي: "بتخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان كقولك: زيدٌ شاعرٌ لا منجم، لمن يعتقد، شاعرا ومنجما، ويسمى هذا القصر قصر إفراد، أمّا عند استخدام بل، لا، كقولك ما زيدٌ منجم بل شاعرٌ، أو زيدٌ شاعر لا منجم يسمى قصر قلب، وذلك أن المتكلم يقلب فيه حكم السامع، أو إلى تخصيص الوصف بالموصوف قصر إفراد كقولك: ما قائم إلاَّ زيدَ، لمن يعتقد قائمين أو أكثر، أو قصر قلب، كقولك ما شاعر إلا زيدٌ لمن يعتقد أن شاعرا في قبيلة معينة"[68].

ويقول فيه حسن عباس:(بأن القصر هو الحبس، ويأخذ معنى التخصيص)[69]

2- طرقـــــه:

ومن طرقه الأربعة: (طريق العطف، النفي والاستثناء، استعمال إنّما، تقديم ما حقه التأخير)[70].

(وقصر الصفة على الموصوف يكون حقيقيا وإضافيا، أمّا قصر الموصوف على الصفة، فلا يكون إلاّ إضافيا)[71].

---

[67]- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، عمان، ط8، 2005، بيروت – لبنان، ص 262.

[68]- السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 2000م، ص 400.

[69]- ينظر: حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان، الأردن، ط2، 1949 م، ص 308.

[70]- ينظر: المرجع نفسه، ص 364.

[71]- ينظر: عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص 151.

أولا-القصـــر بالعطـــف:

ومن ذلك قوله تعالى: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عيسىَ ابن مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لهمْ وإِنَّ الذينَ اختلفوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ من عِلْمٍ إِلاَّ إِتِبَاعُ الظِلَ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينا} الآية: 157.

فالمشبه بعيسى عليه السلام هو الموصوف وذكرت صفاته وكل الجمل جاءت معطوفة على ما قبلها، حيث قصر الموصوف على صفاته، من قتل وصلب، غير أنهم كانوا يدعون ذلك، وكله شك وحيرة وضلال، ووجه المجاز فيه أن القتل للشيء يكون على قهر واستعلاء، وهو موصوف بطريق القصر الحقيقي، وذلك لأن موضع المقصور عليه بهذه الأداة يأتي بعدها مباشرة.

وفي قوله تعالى: {ولله مَا فِي السَمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللهُ بِكُلِ شَيءٍ مُحِيطا } الآية: 126.

فهو المالك لكل شيء لكل ما في السموات وما في الأرض، "هو المتصرف في جميع ذلك، لاراد لما قضي، ولا معقب لما حكم"[72]، وكل ذلك لعظمته وقدرته فهو العلي الذي لا يعلى عليه، وفيها قصر لصفة (الملك) على الموصوف بها وهو الله جلّ جلاله، وهو قصر حقيقي.

ثانيا- النفـــــي والاستثنـــــاء:

ومثال ذلك قوله تعالى: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَرِيدا } الآية: 117.

[72]- ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، 1/ 537.

وفي إناثا قيل: "يعني الموتى، أو كل شيء ميت ليس فيه روح، إمّا خشبة يابسة، وإمّا حجر يابس"[73].

ففي هذه الآية قصر صفة على موصوف أي صفة الدعوة (دعوتهم) على الموصوفين بها أي الذين يدعون من دونه، وكان ذلك بأداة الاستثناء (إل) و(إلا) وجاء مرتين الأولى في (إن يدعون إلا إناثا) وأما الثانية في (إن يدعون إلاّ شيطانا) وكان قصرا إضافيا.

كما نجد ذلك أيضا في قوله تعالى: {يَعِدُهُمْ ويمنيهم وَمَا يَعِدُهُمْ الشَيْطانُ إِلاَّ غُرُوراَ } الآية: 120.

وهذا النوع قصر موصوف على صفة، أي قصر وعد الشيطان على صفات الوعد والأماني وكون كل ذلك افتراء وكلها غرور، والغرور صفة من صفات الشيطان الرجيم، وهذا القصر إضافي جاء بالاستثناء ب (ما) و(إلا).

أما فيما يخص النفي نذكر قوله تعالى: {لَيْسَ بِأَمَانَيكُمْ وَلاَ أَمَانِيَ أَهْلَ الكِتَابْ مَنْ يَعْمَلْ سُوءا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّا وَلاَ نَصيرا} الآية: 123.

ففيها نفي ب (لا) وذلك أنّه ينفي وجود ولي ونصير إلا الله سبحانه وتعالى فما عليه إلا أن يتوب فيتوب عليه الله.

ثالثا –القصـــــر بـــ(إنّما):

قال ابن فارس: "سمعت علي بن إبراهيم القطان يقول سمعت ثعلبا يقول سمعت سلمة يقول سمعت الفرّاء يقول: إذا قلت "إنما قمت" فقد نفيت عن نفسك كل فعل إلاّ القيام، وإذا قلت "إنما قام أنا" فإنك نفيت القيام عن كلّ أحد وأثبته لنفسك"[74].

---

[73]– المرجع نفسه، ص 532.

[74]– أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت– لبنان، ط1، 1993م، ص 137،

نذكر بعض مواضع ذلك في السورة الكريمة كقوله تعالى: {إِنَّ الذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأكُلُونَ في بُطُونِهِم نارًا وَسَيَصلَونَ سَعيرَا} الآية 10.

أي إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب، فإنّما يأكلون نارا تتأجج في بطونهم، وفي هذه الآية قصر صفة الأكل على النار التي هي الموصوف، وجاء هذا القصر حقيقيا والغرض منه التعريض والتأكيد، (فإنّما تفيد التعريض مع إفادتها القصر)[75].

ومثالها أيضا في الآية الكريمة في قوله تعالى: {يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تغلُوا في دينكم ولا تَقُولوا على الله إلاَّ الحقَّ إنَّمَا المسيحُ عيسَى ابن مَرْيَمَ رَسُولُ الله وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ وروحٌ منهُ فآمنوا بالله ورسله وَلاَ تَقُولوا ثلاثة انتَهَوا خيراً لَكُم إنَّمَا اللهُ إلهٌ واحدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما في السَّمَوَاتِ ومَا في الأَرْضِ وَكَفَى باللهِ وَكيلاً} الآية 171.

نجد موضعين للقصر من نفس النّوع؛ وهو قصر الموصوف على الصّفة، ففي الموضع الأوّل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا المسيحُ عيسَى ابن مَرْيَمَ رَسُولُ الله وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ وروحٌ منه﴾، فالموصوف عيسى عليه السلام، أمّا (ابن مريم) صفة لعيسى)[76].

"فهو عبد من عباد الله وخلق من خلقه، قال له كن فكان، ورسول من رسله، وكلمة ألقاها إلى مريم، أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها من روحه بإذن ربّه عزّ وجلّ فكان عيسى بإذنه عزّ وجلّ وكانت تلك النفخة التي نفخها في درعها فنزلت –حتى ولجت فرجها– بمنزلة لقاح الأب والأمّ [77]، (فلقد وصف عيسى بالكلمة: المكون بالكلمة من غير أب، فكأنّه قال: ومنشئه ومبتدعه[78].

[75]–ينظر: حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، ص377.

[76]– ينظر: السمين الحلبي، الدرّ المصون في كتابه المكنون، 165/4.

[77]– ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، 569/1.

[78]– ينظر: السمين الحلبي، الدرّ المصون في كتابه، 4/ 166.

أمّا الموضع الثاني في قوله تعالى: : {إِنَّمَا اللهُ إِلهٌ واحدٌ } حيث قصر الله سبحانه وتعالى (الموصوف) على وحدانيته، فهو الواحد الأحد الذي لا ولد له ومالك كلّ شيء، وكلا القصرين جاء إضافيا.

أمّا الآن فننتقل إلى الطريقة الأخيرة من القصر وهي:

رابعا –القصر بتقديم ما حقه التأخير:

في قوله تعالى: {للرّجال نَصيبٌ ممّا تَرَكَ الوَالدَان والأَقْرَبُونَ ممَّا قلَّ منهُ أو كَثُر نَصيبًا مَفْرُوضًا } الآية 7.

(للرجال: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم، أمّا نصيب فهو مبتدأ مؤخر)[79].

وفي تخصيصه لنصيب كلّ من الرجال والنساء، وإبانة مكانة الخبر (للرجال)، وذلك تأكيد على قصر صفة (النصيب) على الموصوفين وهم الرجال والنساء وتخصيص لهم وهو قصر حقيقي؛ لأنّه من علم الفرائض في الميراث، وكذا قوله تعالى: ﴿لله مَا في السَّمَوَات وما في الأَرض وكَانَ اللهُ بكلّ شَيء محيطاً ﴾ الآية 126. ففيها تأكيد على قصر ملك ما في السموات والأرض وهو صفة لله سبحانه وتعالى، وهو (موصوف) قصرا حقيقيا.

ومنها أيضا قوله تعالى: {وَلِكُلّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ممَّا تَرَكَ الوَالِدَان والأَقْرَبُونَ }الآية 33.

فيها تقديم للجار والمجرور (لكل)، فأصل الكلام (وجعنا لكلّ موالي)[80].

وهو قصر صفة على موصوف قصرا إضافيا، ومن أمثلته أيضا قوله تعالى: {فَبِظُلْم من الذينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِم طيّبَات أُحِلَّتْ لَهُم وَبصدّهم عَنْ سَبيلِ اللهِ كَثِيرًا } الآية 160.

---

[79]– ينظر: محمّد وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه بيانه، 2/ 875.

[80]–ينظر: السمين الحلبي، الدرّ المصون في كتابه المكنون، 3/ 667.

حيث قصرهنا سبب التحريم وهو ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة قبل ذكر حكم التحريم، فقد قدم المولى الحجة والبرهان، وهو قصر حقيقي جاء بأسلوب التأكيد والاستعلاء.

المبحث السادس: الفصل والوصل:

الفصل والوصل من أبرز الظواهرفي العربية لما لها من صلة بالمعنى، وذلك ما ينجر من أخطاء عن استخدام وصل أو فصل بين الجمل، بعدم إيصال المعنى كما هو، أي إفساد له.

ولهذا الموضوع أهمية كبيرة؛ حيث نال من الأهمية والعناية ففي الحقيقة هناك من يرجع البلاغة إلى هذا الموضوع كالفارسي "الذي قال بأنّ البلاغة هي معرفة الفصل والوصل"[81].

"فالوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه" [82]، ومن محسنات الوصل أن تكون الجملتان متناسبتين ككونهما اسميتين أو فعليتين، وما شاكل ذلك"[83].

ويعرف كذلك بأنّ الفصل "هو ترك العطف بين جملتين، الوصل هو عطف الجملة على الجملة بأخذ حروف العطف وهو الواو"[84].

وقال فيه عبد القاهر الجرجاني: (واعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها، والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى، من أسرار البلاغة، وممّا لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلاّ الأعراب الخلص،

---

[81]–الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، 88/1.

[82]– السكاكي، مفتاح العلوم، ص382.

[83]– ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص151.

[84]– حسن عباس، البلاغة وفنونها وأفنانها علم المعاني، ص392.

والأقوام الذين طبعوا على البلاغة، وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنّهم جعلوه حدّ البلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنّ سئل عنها، فقال: معرفة الفصل من الوصل، ذلك لغموضه ودقة مسلكهم، وأنّه لا يكمل لإحراز الفضلة فيه أحد، إلاّ كمل لسائر معاني البلاغة"[85].

ومن ذلك قوله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ لاَ تُقْسِطُوا في اليَتَامَى فانكِحُوا ماَ طَابَ لَكُم من النِّسَاء مثنَى وثُلاَثَ وَرُبَاع } الآية 03.

معناه اثنين اثنين، وثلاثا ثلاثا، وأربعا أربعا، ولقد جاء في هذه الآية وصل بين مثنى وثلاث ورباع ولم تأت (أو)؛ أي لم يفصل بينها، "وذلك على طريق البدل، كأنّه قال ثلاث بدلا من مثنى، ورباع بدلا من ثلاث، ولو جاءت (أو) لجاز أن يكون لصاحب المثنى ثلاث، ولا لصاحب رباع، أي أنّه لا يجوز التزويج بتسع"[86].

مطلـــــب1: ا لفصل

أولا- كمال الاتصال:

ويكون لأمور ثلاثة:

أ- 1- أن تكون الثانية مؤكدة للأولى والمقتضى لتأكيد دفع توهم التجوز والغلط، وهو قسمان: توكيد معنوي، توكيد لفظي[87].

ونذكر أمثلة من السورة الكريمة حول التوكيد المعنوي:

{أَلَمْ تَرَ إلى الذينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُم بل اللهُ يُزَكّي مَنْ يَشَاء وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتيلاً(49)انظر كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى الله الكَذبَ وكَفَى به إثْمًا مُبينًا } الآية49-50

---

[85]-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص222.

[86]- ابي الحسن علي بن فضال المجاشعي، النكت في القرآن الكريم في معاني القرآن الكريم واعرابه، تحقيق: عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2007، ص188، 189.

[87]- ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص154، 155.

ففي الآية الثانية في قوله تعالى: {أنظُر كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى الله الكَذبَ }تمّ تأكيد على ما جاء في الآية الأولى والتي معناها يعود على اليهود والنّصارى "الذين قالوا بأنّهم هم أهل للتزكية"[88]، ففي هذه الآية تعجب من ادعاءهم لذلك وتأكيد على معنى الآية الأولى، فكان الفصل بين هاتين الآيتين.

كما نرى الفصل في الآية العظيمة: {وَلاَ تَقُولوا ثلاثة انتهوا خيرا لَكُم إنَّمَا اللهُ إلهٌ وَاحدٌ سُبحَانَه أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ماَ في السّموات وَمَا في الأَرض وَكَفى بالله وَكيلاً } الآية 71.

ففي هذه الآية روعة في التركيب حيث نلمح عدة مواضع للفصل، وكلّها تهدف إلى التأكيد نذكرها كالآتي ففي جملة (انتهوا) فصلت عمّا قبلها (ولا تَقولوا ثَلاَثة) فكلا الجملتين يحمل معنى النّهي، فالله سبحانه وتعالى ينهى عن التثليث حيث "إنّهم صرّحوا بإثبات التثليث، وقالوا إنّ الله ثالث ثلاثة سبحانه وتعالى عمّا يشركون"[89].

ثمّ يأتي قوله {إنّما الله إله واحد سبحانه }فهو الواحد الأحد تأكيدا على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وكذا قوله (أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض) فهو الواحد الأحد المنزه عن التعدد، (وهي جملة مستأنفة جاءت لتعليل التنزيه وبيان ذلك أنّه سبحانه مالك لجميع الموجودات)[90].

أ- 2-أن تكون الجملة الثانية بدلا من الأولى، والمقتضى للإبدال كون الأولى غير واقية بتمام المراد بخلاف الثانية، والمقام يقتضي اعتناء بشأنه لنكتة وهو ضربان، بدل البعض، بدل الاشتمال)[91].

---

[88]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، 2/ ص90، 91.

[89]- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 26/6.

[90]- ينظر: المرجع نفسه، 6/ 37.

[91]- ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع،156.

نذكر مثالا حول بدل بعض من الكلّ وتمثله الآية الكريمة: {وإِذَا أَرَدْتُم استِبْدَالَ زَوج مَكَان زَوج وآتَيتُم إحداهُنّ قنطارا فلاَ تَأخُذُوا منه شيئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهتَانً وَإثمًا مُبينً } الآية 20.

فلقد نهى عن أن يأخذ شيئا ممّا أعطوه لزوجاتهنّ من مهر وغيره، "والقنطار هنا مبالغة في مقدار المال المعطى صداقا أي مالا كثيرا"[92].

وإحداهن هي تدل على النساء، وهذه المرأة التي يراد طلاقها أي إحدى النسوة، وهذا الأخذ منفي عنه.

ومن أمثلة بدل الاشتمال: قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكَمُوا بِالعَدْلِ إِنَّ اللهَ نَعِيمَا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}الآية: 58.

(فالخطاب هنا عام لكل أحد في كل أمانة) [93]، أي أنه يعم الجميع وجميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله، عزّ وجلّ على عباده فهو الأمر الناهي الواعظ الذي يعظ عباده بأداء الأمانات والحكم بالعدل، وهو السميع البصير.

(أ- 3: أن تكون الجملة الثانية بيانا للجملة الأولى، وذلك أن تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح)[94].

ولتوضيح ذلك نذكر قوله تعالى: {وَمَالَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءَ وَالوِلْدَانِ الذِّينَ لاَ يَقُولوُنَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ القَرْيَةِ الظَّالِمُ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا(75) الذِّينَ أَمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالذِينَ

[92]- محمّد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 289/4.

[93]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيوب الأقاويل في وجه التأويل، 2/ 94.

[94]- ينظر الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 157.

كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفا }
الآيتين: 75- 76.

فالآية الثانية جاءت توضيحا للآية الأولى، "وهذا كلام مستأنف سيق لتشجيع المؤمنين وترغيبهم في الجهاد أي المؤمنين إنما يقاتلون في دين الله تعالى الموصل لهم إليه عزّ وجل وفي علاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة"[95]، فالآية الأولى هي الآية المعطوف عليها بيانا (ومالكم لا تقاتلوا في سبيل الله) فيها تحريض من الله تعالى لعباده المؤمنين على الجهاد في سبيله واستنقاذ المستضعفين من رجال ونساء، وولدان، فجاءت الآية التالية: :﴿الذِّينَ أَمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ...﴾ حيث بينت وجوب القتال في سبيل الله لنصرة المستضعفين.

ثا نيا -شبـــه كمـــال الاتصـــــال:

(وتكون فيه الجملة الثانية قوية الارتباط مع الجملة الأولى وذلك لأن الجملة الثانية تأتي جوابا للجملة الأولى الاستفهامية، فيفصلان عن بعضها كفصل الجواب عن السؤال)[96].

(ومما لطف موقعه، وحسن موضعه من الاستئناف قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ أُوتُوا نَصِيبا منَ الكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تُضَلُوا السَبِيلَ} النساء44.

وقوله سبحانه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ أُوتُوا نَصِيبا منَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بالجَبت وَالطَاغُوتْ﴾ النساء: 51، وفي آية ثالثة:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ يَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ أَمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَاغُوتْ}النساء 60.

---

[95]- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 5/ 84.

[96]- ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: دون، ص 164.

فنحن نرى أنّ هذه الآيات الثلاث ابتدأت بهذا الاستفهام التقريري الذي يقصد منه التعجب من شأن أولئك، فكأنّه قيل: ما شأن هؤلاء الذين أوتوا نصيبا من الكتاب؟ وماذا يفعلون؟ فقال: ﴿يَشْتَرُونَ الضَلالَةَ﴾ في الآية الأولى، وفي الآية الثانية: {يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾، أمّا في الآية الثالثة فكأن قيل فيها: ماذا يفعل بهؤلاء؟ وما الحجّة على أنّهم يزعمون الإيمان وليسوا بمؤمنين في الحقيقة؟ فقيل: "يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت"[97].

وفي قوله تعالى: {يَسْتَفْتُونَكَ قل اللهُ يُفْتِيكُمْ في الكَلاَلَةِ إنَ إِمْرُؤ هلكَ} الآية: 176.

(فجملة "قل الله" جملة مستأنفة استئنافا بيانيا، وجملة (أن هلك امرؤ) استئناف بياني)[98]، فالجملة قل الله يفتيكم في الكلالة لـــ(يستفتونك).

(فالاستئناف البياني هو ما كانت الجملة فيه جوابا عن سؤال مفهوم من الجملة الأولى ويسمّى بيانيا لأنه يعنى به علماء البلاغة)[99].

ثالثا-كمـــال الانقطـــــاع:

(أمّا الحالة المقتضية لكمال الانقطاع ما بين الجملتين: أن تختلف الجملتان خبر وإنشاء أو أن تتفق، ولكن ألا يكون بينهما جامع ولا رابط من جهة العقل أو الوهم أو الخيال)[100].

"فالعقلي: هو أن تكون بينهما اتحاد في التصور، أوتماثل، فإنّ العقل بتجريده المثلين عن التشخيص في الخارج برفع التعدد.

أمّا الوهمي: هو أن يكون بين تصويرهما شبه تماثل.

---

[97]– ننظر تحليل: حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، ص 412.

[98]– محمد وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، 263/6.

[99]– ينظر: حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، ص 415.

[100]– ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص 361.

والخيالي: أن يكون تصوّرهما تقارن في الخيال سابق"[101].

ومثال الصورة الأولى يذكر قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ يُزَكُونَ أَنْفُسَكُمْ بَلْ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلاَ يَظْلِمُونَ فَتِيلا} الآية: 49.

بدأت هذه الآية باستفهام في اليهود والنصارى حين "قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه"[102].

ثمّ ذكر سبحانه وتعالى بأنّه هو المرجع في ذلك ويكون إليه سبحانه وتعالى لأنّه أعلم بحقائق الأمور وغوامضها، وبذلك كانت ذما لتماد بهم وتزكيتهم، وبذلك اختلاف بينهما الأولى جاءت إنشائية والثانية خبرية.

وكذا قوله تعالى: { ذَلِكَ الفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيما(70) يَا أَيُّهَا الذِينَ أَمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعا} الآيتان: 70– 75.

الجملة الأولى: جاءت خبرية، ففيها إخبار بأن كل الفضل يرجع إليه سبحانه وتعالى لأنّه أنعم عليهم برحمته وهدايته فهو العليم بمن يستحق الهداية والتوفيق.

أمّا الجملة الأخيرة فهي جملة إنشائية جاءت بصيغة النداء، وبذلك فإن الفصل بكمال الانقطاع هنا بين وواضح.

ومن أمثلة هذا النوع الثاني قوله تعالى: {يا أَيُّها الذِين أَمَنُوا لاَ تَتَخِذُوا الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا اللهَ عَلَيْكُمْ سُلْطَانا مُبِينَا} الآية: 144.

فهذه الآية تتكون من ثلاث جمل إنشائية الأولى: (يا أيّها الذين أمنوا)، جاءت بصيغة النداء، تفيد التنبيه للذين أمنوا، أمّا الجملة الثانية فجاءت بصيغة النهي بعدم اتخاذ الكافرين

[101]– الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص165، 166.

[102]– ابن كثير: مختصر تفسير ابن كثير، 1/ 488.

أولياء من دون المؤمنين، ثمّ تليها الجملة الثالثة التي جاءت بصيغة الاستفهام (أتريدون) ويفيد الاستنكار والتوبيخ لهم. وبالاختلاف هنا وجب الفصل لكمال الانقطاع على الرغم من اتفاق الجملتين انشاء.

مطلـــب2:الوصـــــل:

ومن أمثلة ذلك نذكر قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِينَ يَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ آمنوا بِمَا أُنْزِلَ اليك وما انزل مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ } الآية: 60.

(ففي قوله "يريدون" حال من فاعل "الذين يزعمون"، وقوله "وقد أمروا" حال من فاعل "يريدون" فهنا حالان متداخلان، وجود جامع بينهما وهو "يريدون")[103].

فهذه الآية في مجملها تدل على (إنكار الله عزّ وجلّ على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله والأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله) [104]، فالوصل هنا جاء بين الجملتين الخبريتين (ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك).

ونذكر كذلك قوله تعالى: {ومَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنَا مُتَعَمِّدَا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدَا فِيهَا وَغَضَبُ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابَا عَظِيمَا }الآية: 93.

ففي هذه الآية تهديد ووعيد لمن يتعاطى هذا الذنب العظيم وهو القتل، فهو من أكبر الجرائم وأشدها، وجاءت الجملة الأولى شرطية وجوابها (جزاؤه) وبذلك فالجملة الثانية معطوفة على الجملة الأولى، و"غضب الله عليه" و"ولعنته" و"وأعد له" معطوفة على الجملة الأولى وفيها تقرير وتأكيد على عظم الجرم وعظم الجزاء.

---

[103]– ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون في كتابه المكنون، 4/ 15.

[104]– ينظر: ابن كثير، المختصر تفسير ابن كثير، 1/ 495.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اِتَقُوا رَبَّكُمْ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجهَا وَبَثَّ مِنْهَا رِجَالا كثِيرَا وَنِسَاْءَ وَاتَّقُوا اللهَ الذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبَا}الآية: 01.

العطف الأول في قوله تعالى::﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجهَا﴾ على الجملة التي قبلها:﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، وكذا :﴿وَبَثَّ مِنْها﴾ معطوفة على ما قبلها، وكل هذه الآيات تفصيل لحالة الخلق التي أبدع فيها الرحمان وتفنن فيها فهو القادر على كل شيء.

وكذا جملة (:﴿اتَّقُوا اللهَ﴾ معطوفة على جملة :﴿اِتَقُوا رَبَّكُمْ﴾)[105].

المبحـــث السابـــــع: الإيجـــاز والإطنـــــاب

مطلب1: الإيجـــــاز:

ويقول فيه أبو هلال العسكري "الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة، وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فصل داخل في باب الهذْر والخطل وهما أعظم أدواء الكلام وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة"[106].

وهو: "أداة المقصودة من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط"[107].

_تعريف:

<< لغـــــــة:

اختصار الكلام وبتعليل ألفاظه مع بلاغته، يقال لغة: أوجز الكلام إذا جعله قصيرا ينتهي نطقه بسرعة، فالمادة تدور حول التحقيق والتقصير.

---

[105]– أبي هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط2، 1952م، ص 73.

[106]– ينظر: محمد وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، 3/ 429.

[107]– السكاكي: مفتاح العلوم، ص 388.

اصطلاحـــــــا:

هو التعبيرعن المراد بكلام قصر ناقص عن الألفاظ التي يؤدي بها عادة في متعارف النّاس مع وفائه بالدلالة على المقصود>>[108].

"والإيجاز يكون على وجهين: حذف، قصر، فالحذف إسقاط كلمة لاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام والقصر بنية الكلام على تحليل اللفظ"[109].

1- الإيجاز بالحذف:

ومن أمثلته قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الذين أمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاّ أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إنّ الله كان بكم رحيما} الآية: 29.

(عن تراض) جار ومجرور متعلق بنعت محذوف [110]، وشبه الجملة (عن تراض) قد أغنى عن هذه الصفة المحذوفة إيجازا وحلت محلها لدلالة السياق عليها وهو أن تكون هذه التجارة مع بيع وعطاء عن تراضٍ.

وفي قوله تعالى: { وَيَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلاَلَة أنَ إِمْرُؤ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فلها نِصْفَ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إن لم يكن لهما ولد} جزء من الآية: 176.

والتقدير في هذه الآية: {يرث الأخت امرؤ إن هلكت أخته ولم يكن لها ولد) [111]. وهو الكلام المحذوف المكمل للجملة وحذف إيجازا لعدم التكرار فمعنى الآية تام دونها.

---

[108]- حسن حنبكه الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريق وتلبد، دار القلم، حلبوني، دمشق، ط1، 2/ 26.

[109]- الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، دار المعارف، مصر- القاهرة، ط3، ص 76.

[110]- محمد وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، 1/ 17، 18.

[111]- ينظر: محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 67/6.

وفي قوله تعالى: {وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكْفَرُ بها ويُسْتَهْزَأُ بها فلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حتّى يَخُوضُوا في حديث غيره إنّكم إذا مثلهم إنّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنّم جميعا } الآية: 140.

والكلام المحذوف في هذه الآية "دلّ عليه النهي عن القعود معهم، وتقديره (إن قعدتم معهم) [112]، (لا تقعدوا) جملة جواب شرط غير جازم، أمّا جملة (إنّكم إذا مثلهم) جملة تعليلية استئنافية مقررة لمضمون الجواب المفهوم من سياق الكلام باستعمال (إذا)، أي إنّكم إن قعدتم معهم مثلهم"[113]، ففيها إذا إيجاز بالحذف.

2- إيجاز القصـــــــر:

ومن أمثلة النوع الثاني قوله تعالى: {مَنْ يُطِعْ الرَسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله ومن تولى فما أرسَلْنَاكَ عليهم حفيظًا} الآية: 80.

ففي هذه الآية نلحظ أنّها تتكلّم في جوهرها عن الطاعة واقتصرت على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلّم، والتي هي من طاعة الله سبحانه وتعالى؛ أي جمعت بين مصدري الشريعة الإسلامية، وهما الكتاب والسنة، وهما أساس الدّين الحنيف، وطاعة الله تكون بهما، فهذه الآية العجيبة في إيجازها جمعت معنى الطاعة بصورة وجيزة.

وكذلك في قوله تعالى: {ولله ما في السّمَوَات والأَرض وكَفَى بالله وَكيلاَ } الآية: 132.

فلله ملكوت كلّ شيء، "فله ما في سمواته وأرضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه إن كفروا به" [114]، فهو القائم على كلّ نفس بما كسبت، والرقيب والشهيد على كلّ

---

[112]- المرجع نفسه، 5/ 236.

[113]- ينظر: محمد وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، 209/5.

[114]-الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 161/2.

شيء، وفي قوله:﴿وَكَفَى بالله وَكيلاً﴾ تنبيه على وجوب التوكل عليه وكلّها دليل على قدرة الله تعالى عظمته، كما تدلّ على ملكوته وأمثلته ذلك كثيرة في هذه السورة الكريمة.

مطلـــــــب2: الإطنـــــاب

تعريف:

لغـــــة:

الإطناب من أطنب أو أطنب في الكلام: إذا بالغ واجتهد أو أبعده" [115]، ويدور حول معنى الإطالة والإكثار والطول والكثرة والزيادة على المعتاد[116].

اصطلاحـــــا:

"هو أداؤه بأكثر من عباراتهم سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل، أو إلى غير الجمل"[117]

"والإطناب يوجد تارة في الجملة الواحدة من الكلام، ويوجد تارة أخرى في الجمل المتعددة، والذي يوجد في الجمل المتعددة أبلغ لاتّساع المجال في إيراده"[118].

***أقسامـــــه:**

1- وضع الاسم الظاهر وموضع المضمر:

"فوضع الاسم الظاهر موضع الضمير لإرادة وإزالة اللبس، واستعمال الضمير يفضي إليه"[119]، ومثال ذلك قوله تعالى: {أولَئكَ هم الكَافرُونَ حَقًّا واعتَدْنَا للكافرينَ عَذَابًا مُّهِينًا }

---

[115]- إنعام فؤال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع، البيان، المعاني)، 1/ 157.

[116]- حسن حنبكة الميداني، البلاغة: أسسها وعلومها وفنونها، 2/ 160.

[117]-السكاكي، مفتاح العلوم، ص388

[118]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها، ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص179.

[119]- إنعام فؤال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع، البيان، المعاني)، 158/1.

الآية: 151. (حيث لم يقل "واعتدنا لهم" لأنّه أراد تعميم استحقاق هذا العذاب على كلّ الكافرين فوضع الاسم الظاهر موضع الضمير لإيراده العموم أو إيراده الخصوص"[120].

وكذا في قوله تعالى: {وَرُسُلاً قَد قَصَصنَاهُم عَلَيكَ مِن قَبلُ وَرُسُلاً لَم نَقصُصْهُمْ عليكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْليمًا رُسُلاَ مُبَشّرين ومنذرينَ لَئلاَّ يَكُونَ عَلَى الله حُجَّةً بَعدَ الرُّسُل وَكَانَ اللهُ عَزيزًا حَكيمًا} الآية: (164 –165).

فلقد ذكر رسلا ثلاث مرات في هاتين الآيتين (رسلا قد قصصناهم)، (ورسلا لم نقصصهم) (ورسلا مبشرين) وكان ذلك رفعا لمكانة الرسل العالية عند خالقهم، حيث لم يقل مثلا وآخرين لم نقصصهم، فهم مبشرون، بل أعاد ذكرها فوضع الاسم الظاهر، وكلّ ذلك إرادة للتعظيم بمكانتهم.

2- الإيضاح بعد الإبهـــــام:

ويكون لإبراز الكلام وتوضيحه بعد الكلام المبهم، ومن أمثلته الكثيرة نختار قوله تعالى: {بَشّر المنافقينَ أنّ لَهُم عَذَابًا أليمًا (138) الذين يتّخذونَ الكَافِرينَ أَوْلِيَاءَ من دُون المؤمنينَ أَيَبْتَغُونَ عندهم العزّة فإنَّ العِزَّةَ لله جَميعًا} الآية: (138– 139).

بدأت الآية بالتحدث عن مآل المنافقين، ثمّ جاء توضيح المقصود بالمنافقين وهم الذين يتخذون الكافرين أولياء لهم من دون المؤمنين، والغرض منه هو "التهكم والسخرية من المتكبرين لمخاطبهم بلفظ الإجلال في موضع التحقير والبشارة في موضع التحذير، والوعد في موعد الوعيد"[121].

وكذا قوله تعالى: {يا أَهلَ الكتاب لا تغلوا في دينكم ولاَ تَقُولوا على الله إلاّ الحقَّ إنَّمَا المَسيحُ عيسى ابن مَريَم رسول الله وكَلمته أَلْقَاهَا إلى مريم وروح منه.. } الآية: 176.

---

[120]– ينظر: حسن حنبكه الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، 101/2.

[121]– الدرويش، إعراب القرآن وبيان معانيه، 133/2

ومعنى هذه الآية أنّ اليهود غلت في حطّ المسيح عن منزلته، وغلت النصارى عن رفعه عن مكانته، وذلك بجعله إلها، وجملة (إنّما المسيح عيسى ابن مريم) توضيح الإبهام في الجملة التي قبلها حيث وضعت ما يبطل ذلك الغلوّ والحدّ الذي كان الغلو عنده.

والأمثلة كثيرة ومتعددة لا يسعنا المقام لذكرها.

3- ذكر الخاص بعد العام:

ومن ذلك قوله تعالى: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحقّ﴾ الآية: 171.

حيث ذكر الغلوّ في الدين بصفة عامة ثمّ ذكر بعد ذلك (لا تقولوا على الله إلاّ الحقّ)، أي انتقل إلى التخصيص، وهو النّهي عن القول والافتراء عليه، وعن الغلو والإطراء، وذلك بتجاوزهم رفع منزلة عيسى عليه السّلام فوق منزلته التي أعطاها الله إياّه.

4- التكريـــــر:

وهو من الطرق الشائعة للتعبير في اللغة العربية كقوله تعالى: {يا أيّها الذين آمنوا أطيعُوا الله وأطيعُوا الرَّسُولَ وأولي الأمر منكُم فإن تَنَازَعْتُم في شَيْء فرُدُّوهُ إلى الله والرَّسُول إن كُنتُم تُؤمِنُونَ بالله واليَوْم الآخر ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْويلاَ} الآية: 59.

ففي هذه الآية تكرار لكلمة (أطيعوا) فالأولى (أطيعوا الله) إشارة إلى الكتاب، وقوله: (أطيعوا الرّسول) إشارة إلى السّنة.

فتكرار هذا اللفظ (إظهار لمكانته عزّ وجلّ أوّلا ثمّ الرسول الذي هو أعلى مرتبة ومنزلة من طاعة أولي الأمر، وكذلك التنبيه على وجوب طاعته فيما يأمر)[122].

5- التذييـــــل:

[122]- ينظر: محمّد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 5/ 97.

(والتذييل هو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتّى يظهر لمن يفهمه ويتوكّد عند فهمه، وهو ضدّ الإشارة والتعريض)[123].

ومثاله قوله تعالى: {مَنْ يَشْفَع شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَهُ نَصيبٌ منهاَ وَمَن يَشْفَع شَفَاعَةً سيئَةً يَكُن لَهُ كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا} الآية 85.

فالتذييل في هذه الأية في قوله (و كان الله على كل شيء مقيتا)؛(أي شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا)"[124]

فالشفاعة الحسنة هي التي يراعى بها حقّ المسلم، وتدفع عنه كلّ شرّ، كما تجلب إليه الخير والصلاح، أمّا الشفاعة السيئة يكون بها وزره ممّا عمل من سيئات، وبذلك فالمعنى نفسه في بدايتها وفيها تأكيد على أنّ الله حفيظ يحفظ جزاء كلّ عبد بما عمل.

6- التكميـــــل:

"وهو أن يأتي بالمعنى الذي بدأ بجميع المعاني المصححة المتممة لصحته المكملة لجودته من غير أن يخل ببعضها ولا أن يغادر شيئا منها"[125].

ومن أمثلته في سورة النساء قوله تعالى: تعالى: {إنّ الذينَ يَأكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا إنَّمَا يَأْكُلُونَ في بُطُونهم نَارًا وَسَيَصْلَونَ سَعيرًا} الآية10.

((إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) استئناف جيء به لتقرير ما فصل من الأوامر والنواهي، وجيء بـــ(ظلما) على التمييز، وإنّما علق الوعيد على الأكل بذلك لأنّه قد يأكل مال اليتيم على وجه الاستحقاق كالآجرة والقرض فلا يكون ظلما)[126].

---

[123]– ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص167.

[124]-ينظر:الزمخشري،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الاقايل في و جوه التأويل، 118/2.

[125]–الخطيب القزيني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص170.

[126]– ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 4/ 214– 215.

فظلما جاءت احتراسا حتى لا يفهم التحريم المطلق لأكل أيّ شيء من مال اليتيم فهي أكملت معنى الآية حتى لا يفهم عكس ما يراد بها.

7 – التتميـــــم:

"وهو أن يؤثر في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضله لنكتة كالمبالغة" [127]، ومن أمثلته كما ذكرنا سابقا في التكميل قوله تعالى: تعالى: {إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِم نَارًا} الآية 10.

حيث يدلّ معنى يأكلون نارا عن الأعمال التي تأخذ بالإنسان إلى النّار، روي "أنّه يبعث أكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه، وأنفه، وأذنيه، وعينيه، فيعرف الناس أنّه كان يأكل مال اليتيم في الدّنيا" [128]، ودلالة ذلك سعيرا، فهذه الآية تدلّ على جشع وطمع الظالمين الذين يأكلون مال اليتيم دون استحقاق.

8 – الاعتـــراض:

"وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في معناهما بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة بلاغية سوى دفع الإبهام"[129].

مثل قوله تعالى: {اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجمَعَنَّكُم إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ رَيبَ فيه ومن أَصْدَقُ منَ الله حديثا} الآية87.

"فجملة (الله لا إله إلاّ هو) معترضة مؤكدة لتهديد قصد بما قبلها وما بعدها –بعيد– ثمّ الخبر وإن كان هو القسم وجوابه لكنّه في الحقيقة الجواب فلا يردع، وقول الإنشاء خبرا"[130] وغرضها التأكيد على وحدانية الله فهو الواحد الأحد.

---

[127]– الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني البيان والبديع، ص166.

[128]– الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 32/2.

[129]– عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، 2/ 84.

وكذا قوله تعالى: {وَمَن أَحْسَنُ دينًا ممّن أَسْلَمَ وَجهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهيمَ حَنيفًا واتَّخَذَ اللهُ إبراهيم خليلاً} الآية 125.

"فجملة (وهو محسن) جملة اعتراضية مؤكدة على أسباب الفوز والنجاة متوافرة في الدين واضحة لا بالأماني"[131].

وهكذا بعون الله عزّ وجلّ قد أتممنا هذا الفصل على الرغم من بعض الإيجاز والله هو المعين.

[130]– الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 5/ 209.

[131]– ينظر: محمّد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 5/ 209.

الفصل الثالث:

دراسة بلاغية دلالية

" علم البيان و البديع"

المبحث الأوّل: البيـــــان.

مطلـــــــب01: التشبيـــــــه.

مطلـــــــب02: المجـــــــاز.

مطلـــــــب03: الكناية.

المبحث الثانـــــي: البديـــــــع.

مطلـــــــب01: المحسنات البديعية.

مطلـــــــب02: المحسنات البديعية اللفظيـــــة.

المبحـــــث الأوّل: علم البيـــــــان

تعريـــــف البيـــــان:

أ- **لغـــــــة:** "الوضوح والظهور، يقال: بان الشيء بيانا إذا اتضح وظهر واستبان الشيء: ظهر وأبنته؛ أي وضحته"[1].

ب-اصطـــــــلاحا:

يعرفه الجاحظ بقوله: (والبيان اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجر على حصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنس كان الدليل؛ لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يحرّى القائل والسامع، إنّما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع)[2].

ويقول عبد القاهر الجرجاني: "ثمّ إنّك لا ترى علما هو أرسخ أصلا، وأبسق فرعا، وأحلي جنى وأعذب وردا، وأكرم نتاجا، وأنور سراجا، من علم البيان، الذي لولاه لم تر، لسانا يحوك الوشى، ويصوغ الحَلي، ويلفظ الدرّ، وينفث السّحر، ويقري الشّهد، ويريك بدائع من الزّهر، وينجيك الحلو اليانع من الثّمر والذي لولا تخفيه بالعلوم، وعنايته بها، وتصويره إيّاها، لبقيت كامنة مستورة، ولما استنبتها لها يد الدّهر صوره ولا يستمرّ السرار بأهلتها، واستولى الخفاء على حملتها، إلى فوائد لا يدركها الإحصاء ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء"[3].

---

[1]- عاطف فصل محمّد، البلاغة العربية، دار المسيرة، عمان –الأردن، ط2، 2001، ص39.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، 76/1.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص5، 6.

فالبيان إذا هو علم يبحث في كيفية تأدية المعنى بطرق كثيرة تختلف في دلالاتها وصورها وأشكالها.

ولقد حفل القرآن الكريم بالكثير من الأساليب البيانية الرائعة، فلا يكاد يقع نظرك على لفظة من الذكر الحكيم إلاّ وتلمس فيها الإعجاز البلاغي الذي يترجم الذوق الرائع من إبداع وجمال، فهو من عند الله سبحانه وتعالى الذي لا تنفذ عجائبه.

ونريد هنا أن نقف عند مظهر إعجازي يتجلى في الأسلوب من حيث الصور البيانية القرآنية، ومن هذه الصور نبدأ بالتشبيه

-مطلـــــب1: التشبيـــــه.

تعريـــــف:

أ- **لغـــــة:**(التمثيل والمماثلة، يقال: شبهت هذا بهذا تشبيها، أي مثلته، والشّبه والشَّبَه والشّبيه: المثل، والجمع أشباه، وأشبه الشيء الشيء: ماثله)[4].

ب- اصطلاحـــــا:

التشبيه "هو صورة تقوم على تمثيل شيء (حسي أو مجرد) بشيء آخر (حسي أو مجرد) لاشتراكهما في صفة (حسية أو مجردة) أو أكثر"[5].

كما يعرف أيضا بأنّه "أسلوب يدلّ على مشاركة أمر لأمر آخر في صفته، أو بيان أنّ شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة"[6].

---

[4]- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، 1994، (مادة شبه).

[5]- ينظر: يوسف أبو العدوس، التشبيه والاستعارة، منظور مستأنف، دار المسيرة، عمان -الأردن، 2007، ص15.

[6]- سميح أبو مغلى، علوم الأسلوبية والبلاغة العربية، دار البداية، عمان -الأردن، ط1، 2011،ص41.

كما نجد رأي عبد القاهر الجرجاني الذي يقول: (والتمثيل ضرب من ضروب التشبيه، والتشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكلّ تمثيل تشبيه، وليس كلّ تشبيه تمثيل) [7].

ومن أمثلة أنواع التشبيه نذكر الآتي:

أ- التشبيه المرســـــل:

وهو التشبيه الذي تذكر فيه أداة التشبيه، ومن أمثلته في سورة النّساء قوله تعالى: {إذَا فَرِيقٌ منهُم يَخْشَوْنَ النَّاس كَخَشْيَة الله وأَشَدّ خَشْيَة } الآية 77."{إذا فريق منهم يخشون الناس} أي الكفار أن يقتلوهم وذلك لما ركّز في طباع البشر من خوف الهلاك، (كخشية الله) أي كما يخشون الله تعالى أن ينزل عليهم بأسه"[8].

فالمشبه هو خشية هؤلاء المنافقين للناس، والمشبه به خشية المؤمنين لله، ووجه الشبه محذوف، وهو الحالة النّفسية المشتركة في الحالتين، أمّا الأداة فهي الكاف، ونوع هذا التشبيه مرسل مجمل، قول الزمخشري: (يخشون الناس مثل أهل خشية الله، أي مشبهة لأهل خشية الله)[9].وكلا طرفي التشبيه وجداني أي التشبيه شيء وجداني ومن قيمته البلاغية التنفير من هذه الصورة المنذرة بالنفاق والحث على نقيضه وذلك بإبراز جوانب قبحه.

كما نجد نفس هذا النوع في قوله تعالى: {وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُم فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ المَيْلِ فَتَذَرُوهاَ كالمُعَلَّقَة وَإِنْ تُصلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحيمًا}الآية129. والمعلقة كما قال ابن عباس رضي الله عنه: (التي ليست مطلقة ولا ذات بعل)[10].وقيل (كالمجوسة لا أيّما ولا ذات بعل)[11].

---

[7]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص75.

[8]- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 5/ 75.

[9]- ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 2/ 110.

[10]- ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 5/ 163.

فالمشبه في هذه الآية الزوجة التي يؤثر زوجها عليها ضرّتها ويتركها مهملة والمشبه به المعلقة والأداة: الكاف، ووجه الشبه محذوف، و دلّ عليه فقدان الاستقرار النفسي، وهي صورة حسية ترى في كثير من المجتمعات، والمشبه به صورة متخيلة لإنسانة معلقة تتأرجح بين الهم والغمّ لا تجد لها قرار تستقر عليه، وفي هذا التشبيه تصوير لحالة المرأة من عدم الاستقرار على حال معيّنة.

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوح والنَّبيينَ من بَعْدِهَ } الآية163. "(إنّا أوحينا إليك) جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أن ينزل عليهم كتابا من السّماء، واحتجاج عليهم بأنّ شأنه في الوحي إليه كشأن سائر الأنبياء الذين سلفوا"[12]، والتشبيه في هذه الآية مرسل يكمن في تشبيه الرسول عليه الصلاة والسلام بنوح والنبيين من بعد نوح ،والأداة: الكاف، ووجه الشبه هو الوحي المنزل وفي هذا التشبيه بيان لصفة الوحي في المشبه به، وهو الرسول عليه الصلاة والسلام.

ونذكر أيضا قوله تعالى: {أو نَلْعَنهُم كَمَا لَعنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ } الآية47.(أو نلعنُهم) أو نجزيهم بالمسح، كما مسخنا أصحاب السّبت، فإن قلت: فأين وقوع الوعيد، قلت هو مشروط بالإيمان"[13]، أمّا قوله (من قبل أن نطمس وجوها فردها على أدبارها) تابع للآية فيها ثلاثة أقوال : قال بعضهم وجوههم كأقفائهم، وقال بعضهم نجعل وجوههم منابت للشعر كأقفائهم، وقال بعضهم "الوجوه" ههنا تمثيل بأمر الدين" [14]، والمشبه بهم اليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلّم المشبهين بأجداد اليهود المعتدين في السّبت،

---

[11]– ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 2/ 119.

[12]– الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 179/2.

[13]– المرجع نفسه، 89/2.

[14]– الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 59/2.

ووجه الشبه الجامع بينهما هي اللعنة بالمسح والطّمس، (والمراد من التشبيه بلعن أصحاب السّبت الإغراق في وصفه)[15]؛ أي أنّ اليهود ملعونون دائما في كلّ مكان وزمان.

ب- التشبيه الضمني:

هو نوع من أنواع التشبيه الذي يتخذ طريقة غير صريحة في التشبيه وذلك بأن يأتي بكلام مستقل مفردة بكلام آخر، وقد اشتمل هذا الكلام الآخر على معنى يفهم منه ضمنا تشبيه الكلام المستقل الذي اقترن به" [16]. (ويؤتى به ليفيد أنّ الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن)[17]، تمثيل ذلك في سورة النّساء المباركة قوله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا في اليَتَامَى فانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم منَ النّسَاء مَثْنَى وَثُلاَث وَرُبَاع فإنْ خِفْتُم أَلاَّ تَعْدِلُوا فَواحِدَة أَوِ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا} الآية03.

قال الزمخشري في الكشاف: "ولمّا نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الأقساط في حقوق اليتامى، وأخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربّما بما كان تحته العشر من الأزواج والثمان والستّ فلا يقوم بحقوقهنّ ولا يعدل بينهن، فقيل لهم :إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها، فخافوا أيضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لأنّ من تحرج من ذنب أو تاب عنه، وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب، لأنّه إنّما وجب أن يتحرج من الذنب ويثاب منه لقبحه والقبح قائم في كلّ ذنب"[18].

---

[15]- ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 50/5.

[16]- عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، 202/2.

[17]- ينظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، ص102.

[18]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 2/ 14، 15.

فالتشبيه هنا قائم بين الزوجات اليتامى و ليس وفق المعروف من عبارات التشبيه، ولكن يفهم من مضمونه التشبيه، أي أنّ المشبه التعدد في الزوجات وكثرته، أمّا المشبه به فهم اليتامى وأكل أموالهم، ووجه الشبه هو الظلم في كلّ منهما.

والغرض البلاغي من هذا التشبيه هو النهي عن ظلم النساء الذي اقترن في هذه الآية بالنهي عن أكل أموال اليتامى الذي سمي حوبا كبيرا، كما جاء في الآية الثانية من هذه السورة.

وقد اقترن هذا الظلم في النساء بالظلم في اليتامى أيضا في الآية التالية:
{وَيَسْتَفْتُونَكَ في النّسَاء قل اللهُ يُفْتيكُم فيهنّ وما يُتلى عَلَيْكُم في الكِتَاب في يَتَامَى النّسَاء اللاتي لاَ تُؤتُوهُنَّ ما كَتب لَهُنَّ وَتَرْغَبُون أنْ تَنكِحُوهُنَّ والمُسْتَضْعَفينَ منَ الولْدَان وأنْ تَقُومُوا لليَتَامَى بالقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا من خير فإنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَليمًا} الآية127.

ومن أمثلة هذا النّوع من التشبيه قوله تعالى: {والذينَ يُنْفِقُونَ أَموالَهُم رئاءَ النَّاس ولاَ يُؤْمِنُونَ بالله ولا باليوم الآخر ومن يَكُنِ الشَّيْطَان لَهُ قَرينًا فَسَاءَ قَرينَا} الآية38.

وقوله تعالى: {الذينَ يَبْخَلُونَ وَيَأمُرُونَ النَّاسَ بالبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا أَتَاهُم الله مِن فَضْلِهِ واعْتَدْنَا للكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} الآية37.

(الذين يبخلون) يعني به اليهود لأنهم يبخلون بعلم ما كان عندهم من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، و من يكن عمله بما يتّول له الشيطان فبئس العمل عمله" [19]، لأنّهم أنفقوا إنفاقا لا تحصل منه فائدة غالبا، لأنّ من ينفق ماله رئاء النّاس لا يتوخى مواضع الحاجة فقد يعطى الغني ويمنع الفقير"[20].

[19]– الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 2/ 51.

[20]– محمّد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 53/5.

فالآية (والذين ينفقون) معطوفة على الآية التي قبلها (الذين يبخلون)، والمشبه في هذه الآية هم الذين ينفقون أموالهم رئاء النّاس) أمّا المشبه به (الذين يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا)، والتقدير فيه الذين يبخلون والذين ينفقون أموالهم رئاء النّاس، إنّ الله لا يظلمهم مثقال ذرة، أو مثقال ذرة لهم" [21]، ووجه الشّبه الحالة التي يكون عليها المنفقون والبخلاء من عمل سيء يجر إلى الجحيم والهلاك والخسران.

والآن ننتقل إلى نوع آخر من التشبيه هو التشبيه التمثيلي.

ج- التشبيه التمثيلي:

يقول فيه الإمام عبد القاهر الجرجاني أنّه "التشبيه الذي يحصل بضرب من التأول لأنّ حقيقة قولنا: "تأولت الشيء" أنّك تطلبت ما يؤول إليه من الحقيقة أو الوضع الذي يؤول إليه من العقل"[22].

ويقول فيه السكاكي: "واعلم أنّ التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي، وكان مشرعا من عدة أمور، خص باسم التمثيل"[23].

كما يعرفه أيضا الخطيب القزويني: "ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد محسوسة كانت الصورة أم معقولة"[24].

ويقول فيه الرماني: "فبلاغة التشبيه الجميع بين شيئين بمعنى يجمعهما يكسب بيانا فيهما والأظهر الذي يقع فيه البيان بالتشبيه به على وجوه: منها إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، ومنها إخراج ما لم تجربه عادة إلى ما جرت به عادة،

---

[21]- السمين الحلبي، الدرّ المصون في كتابه المكنون، 677/3.

[22]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص79.

[23]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص455.

[24]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص229.

ومنها إخراج ما لا يعلم البديهة إلى ما لا يعلم بالبديهة، ومنها إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة"[25].

ومن أمثلة هذا النوع من التشبيه قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍوإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفهاَ وَيُؤت من لَدُنه أَجْرًا عَظِيماً} الآية40.

"فعن ابن عبّاس أنّه أدخل يده في التراب فرفعه ثمّ نفخ فيه فقال: كلّ واحدة من هؤلاء ذرّة"[26]، وموضع التشبيه هنا هو قوله (إنّ الله لا يظلم مثقال ذرة)، حيث شبّه مقدار الظلم هنا بمقدار الذّرة أي ثقل الذرة، (ولم يذكر سبحانه الذرة لقصر الحكم عليها، بل لأنّها أقلّ شيء ممّا يدخل في وهم البشر، أو أكثر ما يستعمل عند الوصف بالقلة، وكلّ ذلك كان للإشارة بما يفهم منه من الثقل الذي يعبر به عن الكثرة والعظم"[27].

والوجه الجامع بين طرفي التشبيه هو الأثر النفسي الذي يتركه نقص الثواب، وزيادة العقاب، والظلم شيء حسي معنوي، "فإنّه عزّ اسمه لا ينقص من الأجر ولا يزيد في العقاب أيضا بناء على وعده المحتوم، فإنّ الحلف فيه ممتنع لكونه نقصا منافيا للألوهية وكمال الغنى، وهذا الاعتبار يضع أن يسمى ظلما" [28]، ففي هذه التشبيه تصوير لرحمة الله الواسعة بعباده.

ومن هذا أيضا قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ في سَبيلِ الله فَتَبَيَّنوا وَلاَ تَقُولُوا لِمَن أَلْقَى إِلَيْكُم السَّلاَم لستَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرضَ الحَيَاة الدُّنْيَا فَعنْدَ اللهِ مَغَانِمَ كَثيرَة كَذَلِكَ كُنتُم من قَبلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُم فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرا} الآية94.

---

[25]– الرماني، والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص81.

[26]– الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 78/2.

[27]– ينظر: السمين الحلبي، الدرّ المصون في كتابه المكنون، 31/3.

[28]– الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.32/5.

وقد جاء في تفسير ابن كثير في سبب نزول هذه الآية، عن ابن عباس قال: "مرّ رجل من بني سليم ينفر من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يرعى غنما له فيسلم عليهم فقالوا لا يسلم علينا إلاّ ليعوذ منّا فعملوا إليه فقتلوه وأتوا بغنمة النبي صلى الله عليه وسلّم فنزلت هذه الآية"، شبه المولى حال المقتول بعد إسلامه على يد نفر من الصحابة بحال إسلام المخاطبين[29]، أو القاتلين أول عهدهم بالإسلام، فهم "يطلبون ما له الذي هو حطام سريع الزوال وشيك الانتقال" [30].وهنا يعني عدم الأخذ بذلك العرض فسبحانه له مغانم كثيرة، وأكد ذلك قول الزمخشري: "كذلك كنتم من قبل أوّل ما دخلتم في الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم وألسنتكم "فمنّ الله عليكم" بالاستقامة والاشتهار بالإيمان والتقدم في المكافحة ولا تقولوا إن تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما استباحة دمه وماله وقد حرمها الله"[31].

فالمشبه في هذه الآية: هو حال الداخلين في الإسلام ولم يعلم من إسلامهم إلاّ الشهادة، أمّا المشبه به حال إسلام الراسخين فيه عند أوّل عهدهم به، ووجه الشبه منتزع من صورة متعددة بعضها حسي كالشهادة والسلام، وبعضها عقلي كالإيمان والتصديق بما جاء به النبي صلّى الله عليه وسلّم، وكلّها تجمع بين طرفي التشبيه للدلالة على التنديم على التصرف غير الصائب من قبل المسلمين، وحثهم على توخي الحذر في مثل هذه المواقف.

إنّ حلاوة ما تذوقنا من صور التشبيه في سورة النساء يدفعنا إلى السعي من أجل جني ثمرة بيانية أخرى كالحديث عن المجاز.

مطلـــــب2: المجـــــــاز.

[29]– ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، 1/ 539.

[30]– الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 5/ 118.

[31]– الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل من وجوه التأويل، 131/2.

إنّ الأصل في اللغة هو التعبير على الحقيقة (التي هي استعمال اللفظ فيما وضع له في اصطلاح به التخاطب)[32]؛ أي لا نخرج في استعمال الألفاظ عن دلالتها التي وضعت لها، غير أنّها قد تخرج عن المعنى الحقيقي إلى معنى غير حقيقي يسمّى بالمعنى المجازي.

وقال فيه عبد القاهر الجرجاني: (وهذا الضرب من المجاز على حدته كنز من كنوز، ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والاتساع في طرق البيان، وأن يجيء بالكلام مطبوعا مصنوعا، وأن يصنعه بعيد المرام، قريبا من الأفهام، ولا يغرّنك من أمره أنّك ترى الرجل يقول: "أتى بي الشوق إلى لقائك وسار بي الحنين إلى رؤيتك، وأقدمني بلدك حق لي على إنسان"، وأشباه ذلك ممّا تجده لسعته وشهرته يجري مجرى الحقيقة التي لا يشكل أمرها، فليس هو كذلك أبدا، بل تدق ويلطُفُ حتى يمتنع مثله إلى على الشاعر الملفق، والكاتب البليغ، وحتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها، والنادرة تأنق لها"[33].

أنـــــواعــه:

والمجاز نوعان: لغوي، عقلي.

أ- مجاز لغوي:

وهو المجاز الذي "يكون في نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معنى آخر بينها صلة ومناسبة"[34]، وهو نوعان أيضا:

أ-1: المجاز المرسل:

---

[32]- ينظر: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، 2/ 217.

[33]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص295.

[34]- عاطف فضل محمّد، البلاغة العربية، ص81.

(وهو كلمة استعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة، وسمي هذا المجاز بالمرسل لأنّه مرسل عن التقييد بعلاقة المشابهة)[35]

[35]– ينظر: المرجع نفسه، ص102.

علاقاتـــــه:

1- السببيـــــة:

(وهي تسمية الشيء باسم سببه أو ذكر السبب وإرادة نتيجته) [36]، ومن أمثلة هذه العلاقة قوله تعالى: {مَا أَصَابَكَ من حَسَنَةٍ فَمنَ الله وَمَا أَصَابَكَ مِن سيئَة فَمن نَفْسِك وَأَرْسَلْنَاكَ للنَّاس رَسُولاً وَكَفَى باللهِ شَهِيداً} الآية 79.

مجاز مرسل (لأنّ النفس هي التي توبق صاحبها وتورطه في ارتكاب الذنوب، ومرسل في إضافة السيئة إلى العبد، والعلاقة هي السببية)[37].

حيث نسب الله عزّ وجلّ السيئة للإنسان لأنّه نهى الإنسان عن السيئات فالسيئة تكون سبب اقتراف الإنسان لها.

2 - المسببيـــة:

(وهي أننذكر النتيجة ونقصد بها السبب) [38]، ومن أمثلتها في هذه السورة المباركة قوله تعالى: { إنَّ الذينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا إنَّمَا يَأْكُلُونَ في بُطُونهم نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} الآية 10.

قال الزمخشري: (ومعنى يأكلون نارا، ما يجر إلى النّار وكأنّه نار في الحقيقة)[39].

"وسيصلون سعيرا"، إنّ أصل الصلي القرب من النّار، وقد استعمل هنا في الدخول مجازا"[40].

---

[36]- ينظر: زين كامل الخويسكي، وأحمد محمود المصري، فنون بلاغية، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006، ص70.

[37]- ينظر: محمّد وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، 5/ 106.

[38]- ينظر: عاطف فضل محمّد، البلاغة العربية، ص103.

[39]- ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 2/ 32.

[40]- محمّد وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، 3/ 449.

لقد أراد الله تعالى أن يصوّر بشاعة فعل هؤلاء وسوء عاقبتهم فجعلهم يأكلون نارا في بطونهم بأكلهم لأموال اليتامى، ومعلوم أنّ النار لا تؤكل والذي سوغ هذا الاستعمال للمعنى المجازي في موضع المعنى الحقيقي هو وجود علاقة رابطة بين المعنيين، هي علاقة المسببة لأنّ المال الحرام الذي يسرقه هؤلاء وينفقونه على ملذاتهم يؤدي إلى النّار فهي مسببة عنه ونتيجة له والقرينة التي منعت إرادته المعنى الحقيقي قوله سبحانه: (يأكلون).

وفي هذا القبيل قوله تعالى: {يا أَيُّهَا الذينَ لاَ تَأْكُلُوا أَمْوالَكُم بَيْنَكُم بالبَاطِلِ إلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عن تَرَاضٍ منكُم وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُم إنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} الآية29.

مجاز مرسل في قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لاَ تَاْكُلُوا أَمْوالَكُم بَيْنَكُم بالباطِلِ﴾؛ "أي لا تأخذوا أموالكم بالحرام كالرّبا والميسر ونحو ذلك فعبّر بالأكل لأنّه مسبب عن الأخذ، فالعلاقة المسببة" [41]؛ أي ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أكل الأموال بينهم بالباطل، والقرينة (يأكلون).

3 – الجزئيـــــــة:

(وهي إطلاق لفظ الجزء وإرادة الكلّ، أو تسمية الشيء باسم جزئه) [42]، ومنه في سورة النساء قوله تعالى: {فتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَة}الآية 92.

(والمراد بالرقبة كلّ رقبة كانت على حكم الإسلام عند عامة العلماء) [43]، حيث عبّر في هذه الآية عن تحرير الإنسان كاملا بجزء منه، وهي الرقبة، حيث سمى الكلّ؛ أي العبد المؤمن باسم جزئه (الرقبة) والقرينة في قوله سبحانه وتعالى: (فتحرير) لأنّ التحرير يتناول الإنسان كلّه، وهذا يدلّ على أهمية الرقبة التي هي جزء من الإنسان.

---

[41]– المرجع السابق، 5/ 19.

[42]– ينظر: زين كامل الخويسكي، وأحمد محمود المصري، فنون بلاغية، ص73.

[43]– ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 125/5.

ومثله قوله تعالى: { وَمَنْ أَحْسَنُ دينًا ممَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إبرَاهيمَ حَنِيفًا واتَّخَذَ اللهُ إبْرَاهيمَ خَليلاً} الآية 125.

مجاز مرسل علاقته جزئية، حيث (ذكر في هذه الآية جزء من الإنسان وهو وجهه وأريد به الكلّ، ووجه اختيار اللفظة أنّ الوجه أشرف الأعضاء وفيه ما كان به الإنسان إنسانا)[44].

4-الحاليـــــة:

وهي ذكر الحال وإرادة المحلّ.

ومنه قوله تعالى: { فأمّا الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما} الآية 175.

المجاز مرسل في قوله تعالى: (فسيدخلهم في رحمة) لأنّ الرحمة لا يحلّ فيها الإنسان فهي معنى من المعاني الحسية، وعن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنه أنّ المراد بالرحمة الجنّة.

وأمّا الزمخشري فيقول {في رحمة منه وفضل} تعني "في ثواب مستحق وتفضل" [45]؛ أي أنّ الرحمة معنى يحلّ في مكان الجنّة، فاستعمال الرحمة في مكانها مجازا أطلق فيه الحال وأريد المحلّ، فعلاقته الحالية، وهو دلالة على النّعيم والرحمة التي يهبها الله لعباده المؤمنين الصالحين، وتصوير للجزاء العظيم داخل الجنّة.

---

[44]- ينظر: محمّد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 5/ 210.

[45]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 2/ 186.

5-المحلّيـــــة:

(وهي ذكر المحلّ وإرادة الحال فيه)[46]، ومن أمثلته قوله تعالى: {وَلكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَاليَ ممَّا تَرَكَ الوَالدانِ وَالأَقْرَبُونَ} الآية 33.

"الموالي: جمع مولى وهو في اللغة محلّ الولي، واستخدمت للقرب وهو محلّ مجازي وقرب مجازي"[47]، و(ممّا ترك) تبيين لكلّ، أي ولكلّ شيء ممّا ترك"[48].

فالمجاز مرسل في قوله (ولكلّ جعلنا موالي) أطلق فيه المحلّ (موالي) ومجازي (معناه لكلّ انسان موروث جعلنا موالي أي وراثا ممّا ترك)[49]، وذلك دلالة على استحقاق الإرث.

6- اعتبار ما كـــــان:

(وهو إطلاق ما كان عليه الشيء، ونحن نقصد ما أصبح عليه بعد ذلك) [50]؛ أي تسمية الشيء باسم ما كان عليه مع إرادة ما هو عليه في الحاضر.

ونرى موضع ذلك في قوله تعالى: {وَآتُوا اليَتَامَى أَمْوَالَهُم} الآية 02؛ "أي أعطوهم أموالهم إذا آنستم منهم رشدا، وإنّما يسمّون يتامى بعد أن يؤنس منهم الرشد، وقد زال عنهم اسم يتامى بالاسم الأوّل الذي كان لهم، وقد كان يقال في النبي صلّى الله عليه وسلّم يتيم أبي طالب" [51]، فمعلوم أنّ إيتاء الأموال في مثل هذه الحال لا يكون إلاّ بعد البلوغ ومعنى هذا أنّ كلمة اليتامى في هذا السياق تعني البالغين الذين يجوز إعطاؤهم أموالهم للتصرف بها، وبيان الأمر أنّهم كانوا فيما مضى يتامى، أمّا وقت الخطاب فإنّهم بالغون تجاوزوا مرحلة اليتم، فالله سبحانه وتعالى سمّاهم بوصف كان لهم؛ أي أنّ استعمال كلمة

---

[46]- ينظر: زين كامل الخويسكي، وأحمد محمود المصري، فنون بلاغية، ص80.

[47]- محمّد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 5/ 33.

[48]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 64/2.

[49]- ينظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 5/ 21.

[50]- ينظر: عاطف فضل محمّد: البلاغة العربية، ص105.

[51]- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 7/2.

اليتيم هنا استعمال مجازي، والقرينة التي منعت من إرادة المعنى الحقيقي قوله (آتوا) لأنّ اليتيم لا يعطى له ماله ليتصرف فيه إلاّ بعد البلوغ، وهكذا تكون كلمة (اليتامى) مجازا مرسلا علاقته اعتبار ما كانوا عليه، وفيه حثّ على تسليم أموال اليتامى وعدم التهاون في ذلك.

وكذلك في قوله سبحانه وتعالى: قوله تعالى: { وَلَكُمْ نِصفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُم} الآية 12؛ أي لكم نصف ما تركت النساء اللاتي كنّ أزواجا لكم في حياتهنّ، وقد انتفت هذه الصفة بعد وفاتهنّ وفيها مجاز مرسل علاقته ما كان بين المعنيين.

7 – علاقـــــة ما سيكـــــون:

(وهي تسمية الشيء باعتبار ما سيكون عليه في المستقبل مع إرادة ما كان عليه قبل ذلك)[52]، ومن موضع ذلك نذكر قوله تعالى: { وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِع مِنْكُمْ طولا أن ينكحَ المُحْصَنَات المُؤْمِنَات فمن ما مَلَكَت أَيْمَانُكُم مِن فَتَيَاتكُم المُؤْمِنَات}الآية 25.

"فبإطلاق المحصنات على النساء اللاتي يتزوجهنّ الرجال إطلاق مجازي بعلاقة المال أي اللاتي يصرن محصنات بذلك النكاح إن كنّ أبكارا"[53].

والتسمية بالمحصنات دلالة على رفعة مكانة المرأة المسلمة والعفيفة، والدليل على أنّ المحصنات هنّ العفائف قوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَم ابنَةُ عِمْرَان التي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا } التحريم 12؛ "أي عفّت فرجها"[54].

---

[52]– ينظر: زين الدين الخويسكي، أحمد محمود المصري، فنون بلاغية، ص84.

[53]– محمّد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 5/ 13.

[54]– الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 2/ 39.

8- الآليـــــة:

(وهي ذكر آلية الشيء وإرادة أثرها ومفعولها) [55]، ومن مواضع ذلك قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فانفُرُوا ثُبَاتٍ وانفُرُوا جَمِيعًا} الآية 71.

فالمجاز في (خذوا حذركم): فكأنه جعل الحذر آلته التي يقي لها نفسه، ويعصم بها روحه، "والمعنى احذروا احترزوا من العدوّ ولا تمكنوه من أنفسكم" [56]، وفيه تنبيه للذين آمنوا من أجل أخذ الحيطة والحذر.

9- المجـــاورة

(وهي تسمية الشيء بما يجاوره) [57]، ومنه قوله تعالى: { وَمِنْ يعصِ الله وَرَسُوله ويتَعدَّ حُدُودَه يُدْخِلْهُ ناراً خَالِدًا فيها وَلَهُ عَذَابٌ مُهين} الآية 14.

المجاز المرسل في قوله (يدخله نارا)، وذلك أنّ جهنّم هو مكان دخول الذين يعصون الله ورسوله، فجهنّم تعجّ بالنّار في كلّ مكان ومجاورة لها من كلّ جهة، وذكرت النّار للتخويف والتهويل ممّا ينتظر الكافرين من مصير.

ونذكر قوله أيضا: { وَإِنْ كُنْتُم مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَد منكم منَ الغَائط } الآية 43.ففي قوله سبحانه (الغائط) مجاز مرسل علاقته المجاورة، (فقد أطلق سبحانه وتعالى اسم الغائط على فضلات الإنسان، والغائط هي الأرض الغائرة العميقة يفضي فيها الإنسان حاجته ويدفع فيها فضلاته بحيث لا يراها أحد، لمّا كثرت مجاورة الفضلات للغائط جاز ذكر الغائط بدلا منها تأدبا) [58]؛ أي أنّ ذكر الغائط كان استحياء وتأدبا فكان بذلك المجاز.

---

[55]- ينظر: زين الدين الخويسكي، وأحمد محمود المصري، فنون بلاغية، ص86.

[56]- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 2/ 206.

[57]- ينظر: زين الذين الخويسكي، وأحمد محمود المصري، فنون بلاغية، ص88.

[58]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يعدّ المجاز المرسل أسلوبا راقيا من أساليب التعبير البياني حيث يبيّن لنا العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي، والقدرة على الانتقال من مدلول أصلي للفظ إلى مدلولات جديدة تبعث على التأمل وتستثير الفكر لما فيها من افتتان في التعبير، وإثارة للخيال، والتشويق كما يجعلنا ندرك الحسّ والجمال فيما نقرأ.

أ-2: الاستعـــــارة:

تعريـــــف:

يعرفها السكاكي بأنّ "تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك بإتيانك للمشبه ما يخصّ المشبه به"[59].

أمّا أبو هلال العسكري فيقول: (بأنّها نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إمّا أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين العرض الذي يبرز فيه"[60].

أقسامـــــها:

نذكر من أقسامها ما يلي:

1 - الاستعارة التصريحية الأصلية:

(وهي التي يصرح فيها بذات اللفظ المستعار، الذي هو في الأصل المشبه به حين كان الكلام تشبيها، قيل أن تحذف أركانه باستثناء المشبه به، أو بعض صفاته أو خصائصه أو بعض لوازمه الذهنية القريبة أو البعيدة)[61].

---

[59]- السكاكي، مفتاح العلوم، 477.

[60]- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص268.

[61]- ينظر: عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، 2/ 242.

ومن أمثلة هذا النوع من الاستعارة في سورة النساء قوله تعالى: { وَآتوا النّسَاءَ صَدُقَاتهنَّ نِحْلَةً فَإنْ طِبْنَ لَكُم عَنْ شيء منهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنيئًا مَريئًا} الآية 04.

"الصَّدُقات جمع صَدُقة –بضمّ الدال–، والصدقة: مهر المرأة، مشتقة من الصّدق لأنّها عطية يسبقها الوعد بها فيصدقه المعطي" [62]، أمّا نِحْلة فهي الهبة التي تعطى للمرأة عن طيب نفس" وانحلوا النساء صدقاتهنّ نحلة، أي أعطوهنّ مهورهنّ عن طيبة أنفسكم".

والمستعار هنا هو لفظ (صدقاتهنّ) حيث صرّح باللفظ المستعار أي المشبه به (صدقاتهنّ) والمشبه أو المستعار له هو (المهور)، حيث شبّه سبحانه وتعالى المهور بالصدقات أي يعطيها للمرأة عن طيب خاطر، ويؤكد ذلك لفظ (نحلة) في هذه الاستعارة دلالة على صدق نوايا الزوج لتوثيق الصلة بينهما.

ومن هذه الاستعارة أيضا قوله تعالى: { تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلهُ جنَّاتٍ تَجْري من تَحتها الأنهار خالدينَ فيهَا وذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ} الآية 13.

(تلك) إشارة إلى الأحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث، وسماها حدودا لأن الشرائع كالحدود المضروبة المؤقتة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوها إلى ما ليس لهم بحقّ[63].

ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى: { إنَّ الذينَ كَفَرُوا وصدُّوا عَن سبيل الله قَدْ ضَلُّوا ضَلَالاً بَعيدًا} الآية 167."(قد ضلّوا)بالكفر والصدّ"[64].

فالاستعارة هنا في (ظلموا) فالضلال المقصود هنا في هذه الآية الكريمة هو الكفر، حيث شبه الكفر بالضلال؛ وهو طريق موصل إلى جهنّم، مثلما قال ابن عاشور: "فإطلاق

[62]– محمّد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 4/ 230.
[63]- ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 2/ 40.
[64]– الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 6/ 22.

الضلال على الكفر استعارة مبنية على استعارة الطريق المستقيم للإيمان" [65]، وفي هذه الاستعارة تأكيد على الضياع الذي يكون عليه الكافر من جراء ما يفعل.

2 – الاستعارة التصريحية التبعية:

(وهي التي يكون اللفظ المستعار فيها فعلا) [66]، وفي أمثلة هذا النوع من الاستعارة قوله تعالى: {أَلَم تَرَ الذينَ أوتوا نَصيبًا منَ الكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضلُّوا السَّبيلَ } الآية44.

قال الزمخشري: ("يشترون الضلالة": أي يستبدلونها بالهدى، وهو البقاء على اليهودية، بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأنّه هو النبيّ العربي المبشر به في التوراة والإنجيل) [67].حيث شبّه الله تعالى في هذه الآية فعل اليهود بالاشتراء دلالة على إصدارهم على الضلالة وتعمدهم اختيار الضلالة، والفعل المضارع (يشتري) دلالة على الاستمرار في الضلالة "وذلك أنّهم لم يكتفوا بضلال أنفسهم فقط، بل يريدون بما فعلوا من تكذيب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وكتم نعوته الناطقة بها التوراة أن تكونوا أنتم أيضا ضالين الطريق المستقيم الموصل إلى الحقّ" [68]، ودلالة الاستعارة في هذه الآية على الفعل الشنيع الذي يريده اليهود.

ومنها أيضا قوله تعالى: {بَشِّرِ المُنَافِقِين بِأنَّ لَهُم عَذَابًا أليمًا} الآية 138.

ووضع في هذه الآية (بشّر) موضع (أنذر) تهكما بهم، ففي الكلام استعارة تهكمية) [69].

---

[65]– محمّد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 6/ 46.

[66]– عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، 2/ 237.

[67]– الزمخشري، الكشاف عن غوامض حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. 2/ 85.

[68]– الألوسي، روح لمعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 5/ 45.

[69]– ينظر: نفس المرجع، 5/ 171.

قال ابن عاشور: (ولمّا كان التظاهر بالإيمان ثمّ تعقيبه بالكفر ضربا من التهكّم بالإسلام وأهله جيء في جزء عملهم بوعيد مناسب لتهكمهم بالمسلمين، فجاء على طريقة التهكم إذ قال (بشّر المنافقين) فإنّ البشارة هي الخبر بما يفرح المخبر وليس العذاب كذلك [70]، فالمجاز الاستعاري في الفعل (بشّر)، وذلك لاقترانه بالعذاب بدل (أنذر) التي تكون في الحقيقة للعذاب، والغرض البلاغي منها هو التهكّم.

3 – الاستعارة المركبة (التمثيلية)

(وهي الاستعارة في اللفظ المركب، والتي يكون اللفظ المستعار فيها كلاما مركّبا من عدّة ألفاظ مركبة"[71]،

ومن أمثلة هذا النوع نختار قوله تعالى: {الرّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النّسَاء بمَا فَضَّلَ بَعضُهُم عَلَى بَعضٍ بما أَنْفَقُوا من أَمْوَالهم} الآية 34.

"(قوّامون على النّساء) يقومون عليهنّ آمرين ناهين، كما يقوم الولاة على الرعايا، وسمّوا قواما لذلك"[72].

وفيه دليل على أنّ الولاية إنّما تستحق بالفضل، لا بالتغليب والاستطالة والقهر، "حيث نبهت هنا هينة المهتم والحريص على آمر زوجاته بهيئة قائم على رعاياه، والوجه الجامع بينهما هو الاهتمام والحرص والعدل" [73]، وذلك لما للعدل من أهمّية ومنافع في الحياة فهو العادل والآمر والنّاهي الذي يأمر عباده بالعدل.

ومنه أيضا قوله تعالى: {إِنَّ المُنَافِقِينَ يُخَادِعَونَ الله وَهُوَ خَادعُهُم} الآية 142.

---

[70]– محمّد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 5/ 233.

[71]-ينظر :عبد الرحمان حسن حنبكه الميداني،البلاغة العربية أسسها و علومها و فنونها، 235/2

[72]– الزمخشري، الكشاف عن غوامض حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 67/2.

[73]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فالاستعارة هنا تكمن في (يخادعهم) قال ابن عاشور: "فبإطلاق الخداع على استدراج الله إيّاهم استعارة تمثيلية وحنتها المشاكلة؛ لأنّ المشاكلة لا تعدو أن تكون استعارة لفظ لغير معناه مع مريد مناسبة مع لفظ آخر مثل لفظ المستعار، فالمشاكلة ترجع إلى التلميح"[74]،

ففي قوله تعالى: {إِنَّ المُنَافقُينَ يُخَادِعُونَ اللهَ }؛ أي يفعلون ما يفعل المخادع، فيظهرون الإيمان ويضمرون نقيضه" [75]، وجاءت الاستعارة هنا لعدم إرادة المعنى الحقيقي وذلك لعدم استحالة الإتيان بهذا الفعل في حقّ الله سبحانه وتعالى.

4- الاستعارة المكنيـــــة:

(وهي التي لم يصرح فيها باللفظ المستعار، وإنّما ذكر فيها شيء من صفاته أو خصائصه أو لوازمه القريبة أو البعيدة، كناية عن اللفظ المستعار)[76].

ومن أمثلتها في السورة المباركة قوله تعالى: {إِنَّ الذينَ كَفَرُوا بآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْليهِم نَارًا كُلَّمَا نَضجَت جُلُودُهم بَدَّلنَاهم جُلُودًا غَيْرهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزيزًا حَكيمًا } الآية 56

استعارة مكنية في قوله تعالى: ﴿لِيَذُوقُوا العَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزيزًا حَكيمًا﴾ التعبير عن إدراك العذاب بالذوق من حيث أنّه لا يدخله نقصان بدوام الملابسة، أو للإشعار بمرارة العذاب مع إيلامه، أو للتنبيه على شدّة تأثيره من حيث أنّ القوة الذائقة أشدّ الحواس تأثيرا، فقد حذف المشبّه به واستعار شيئا من لوازمه وهو الذوق.

وكذا قوله تعالى: {الذينَ يَشْتَرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا بالآخرَةِ} الآية 74.

---

[74]- محمّد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 5/ 239.

[75]- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 5/ 175.

[76]- ينظر: عبد الرحمن حسن حنبكه، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، 2/ 243.

استعارة مكنية (فيشرون) مضارع شرى، ويكون بمعنى باع واشترى من الأضداد" [77]، والمعنى إنّ صدّ الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا ومظفورا به إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده في إعزاز دين الله" في هذه الآية (يصرّح بالمستعار وترك لازمة من لوازمه (يشرون الحياة الدّنيا)[78]؛ أي يشترون الحياة الدّنيا بالآخرة أويبيعون الدّنيا من أجل الآخرة، وذاك هو الثواب والأجر العظيم، وفي قوله تعالى: (مَن يُقَاتِل في سبيل اللهِ فَيُقتَلَ أَوْ يُغْلَبَ فَسَوْفَ نُؤتِيه أَجْرًا عَظِيمًا) تأكيد على المعنى الثاني وهو يبيعون الدّنيا من أجل الآخرة.

ومن أروع الاستعارات في هذه السّورة قوله تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُم في الكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُم آياتِ اللهِ يُكْفَرٌ بِهَا وَيُسْتَهزَأُ بها فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُم حَتّى يَخُوضُوا في حَدِيثِ غَيْرِه } الآية 140. الاستعارة في قوله تعالى: ﴿يخوضوا في حديث غيره﴾ (الخوض من خاض الماء خياضا وخوضةً) [79]، فالخوض يكون في الماء، ومن باب المجاز ذكرت في هذه الآية الخوض في القرآن الكريم، حيث شبّه حديثهم الساخرللقرآن الكريم بالخوض في الماء، وحذف المشبه به وأبقي على لازمة من لوازمه وهو الخوض على سبيل الاستعارة المكنية.

ب- المجاز العقلي:

تعريـــــف:

يعرّفه السكاكي بقوله: "هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلّم من الحكم فيه، لضرب من التأويل"[80].

---

[77]- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 5/ 81.

[78]- الزمخشري، الكشاف عن غوامض حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 2/ 107.

[79]-ينظر :الزمخشري،أساس البلاغة،270/1.

[80]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص305.

كما يعرّفه الخطيب القزويني بأنّه "إسناد الفعل، أو معناه إلى ملابس له، غير ماهد له بتأول"[81].

(والمجاز العقلي يلابس الفاعل،و المفعول، والمصدر، الزمان والمكان والسبب) [82]، نذكر منها الآتي:

ب-1: الفاعـــــلية:

ومنه قوله تعالى: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الكِتَابِ أَنْ تُنْزِلَ عَلَيْهِم كِتَاباً منَ السَّمَاء، فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ من ذَلكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتهُم الصَّاعقَةُ بظُلمهمْ} الآية 153.

المجاز في قوله تعالى: (فأخذتهم الصّاعقة)، "والأخذ هو الهلاك"[83].

والله هو الآخذ، أي الذي يهلكهم جزاء بما عملوا وأسند الأخذ الى الصاعقة مجازا ،فالصاعقة أرسلها الله سبحانه وتعالى من السماء كماقال الألوسي "نار جاءت من السّماء"[84]، فلفظة صاعقة والتي هي الفاعل في الحقيقة تدلّ على الهلاك العظيم الذي يؤول إليه كلّ كافر وكلّ عاص.

ب- 2: المفعوليـــة:

كقوله تعالى: {فَكَيْفَ إذَا أَصَابَتْكُم مُصيبَةٌ بمَا قَدَّمَت أيديهِم } الآية 62.

من المجاز العقلي في إسناد الفعل (أصاب) إلى مصيبة وهي الفاعل غير أنّ الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه تعالى؛ أي "أصابهم الله بمصيبة" [85]، فالمصيبة نكبة تظهر

---

[81]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص27.

[82]- المرجع نفسه، ص28.

[83]- الألوسيــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 6/ 6.

[84]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[85]- محمّد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 5/ 107.

نفاقهم"[86]، فمن نفاقهم يجازيهم الله بمصيبة جزاءا بما عملوا، والمراد بها تهويل ووعيد لهم.

وكذا في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ من رَبّكُم وأَنْزَلْنَا إليكُم نُورًا مُبينا } الآية 174.

(يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ من رَبّكُم) كلام مستأنف لتقرير ما انتهت إليه الأمور من إقامة الحجج الباهرة على المخالفين، وإهابة الله تعالى بالنّاس كافة إلى اتّباع برهانه، والاهتداء بالنّور الذي جاء به" [87]، ومن باب المجاز العقلي أسند فعل (جاء) للبرهان الذي هو في الحقيقة المفعول والله سبحانه وتعالى هو الفاعل أي هو الذي يأتي بالبرهان الذي يجب علينا الاهتداء به.

ب- 3: المصدرية:

نذكر منها قوله تعالى: {حَتَّى إذَا حَضَرَ أَحَدهم الموت قالَ إنّي تُبْتُ الآنَ} الآية 18.

"وذلك بأنّ شاهد الأحوال التي لا يمكن معها الرجوع إلى الدّنيا بحال وعاين ملك الموت وانقطع حبل الرجاء"[88]؛ أي أنّه يفيق وقت لا ينفع شيء إلاّ ما عمل من خير وإيمان بالله عزّ وجلّ، ففي هذه الآية أسند الحضور للموت (حتى إذا حضر أحدهم الموت) فوقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة، غير أنّ الفاعل الحقيقي في إحضار الموت هم الملائكة المكلفون بذلك آمرا من عنده عزّ وجلّ أي أنّ أثر فعلهم هو الموت، ولكنّ لو أسند لهم الحضور للملائكة لما بانت حالة المحتضر من رجاء وحسرة على نهايته التعيسة، ففي هذا المجاز تصوير لحالة المحتضر الميؤوس منه وتحسر عليه.

ب-4: المكانيـــــة:

---

[86]- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، والسبع المثاني، 5/ 69.

[87]- الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، 2/ 165.

[88]- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 4/ 239.

ومن أمثلتها قوله تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ الله وَمَنِ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّات تَجْرِي من تَحْتِهَا الأَنْهَارٌ خَالِدِينَ فيهاَ، وَذَلِكَ الفَوزُ العَظيم}الآية 13.

المجاز العقلي في قوله تعالى: (تجري من تحتها الأنهار)، وذلك بإسناد فعل الجريان إلى الأنهار، إسنادا مجازيا، غير أنّ الأنهار لا تجري، بل ماؤها[89]هو الذي يجري.

ونجد ذلك أيضا في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهُم فيهَا أَزْواجٌ مُطَهّرَة وَنُدْخِلُهُم ظِلاًّ ظَليلاً} الآية 57.

والغرض البلاغي منه إظهار النّعيم الذي سيكون عليه أهل الجنان، وذلك بالمبالغة في إظهار جمال الجنّات.

ب-5: السببيـــــة:

ومن أمثلتها قوله تعالى: {وَلكُلّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ممَّا تَرَكَ الوَالدَان والأَقْرَبُونَ والذينَ عقدتْ أَيْمَانُكُم فَآتُوهُم نَصيبَهُم إنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كلّ شَيءٍ شَهيدًا} الآية 33.

"الأيمان، جمع يمين إمّا بمعنى اليد، أسند العقد إلى الأيدي مجازا، لأنّها تقارن المتعاقدين لأنّهم يضعون أيدي بعضهم في أيدي الآخرين، علامة على انبرام العقد، ومن أجل ذلك سمّي العقد صفقة أيضا، لأنّه يصفق فيه اليد على اليد، فيكون من باب (أو ما ملكت أيمانكم)، وإمّا بمعنى القسم لأنّ ذلك كان يصحبه قسم، ومن أجل ذلك سمّي حلفا، وإسناد العقد إلى الأيمان بهذا المعنى مجاز أيضا، لأنّ القسم هو سبب انعقاد الحلف"[90].

سواء أريد بالأيمان اليد الجارحة أو القسم، والعلاقة هي السببية، فالأيمان سبب العقد، وليست فاعله الحقيقي؛ لأنّ الفاعل الحقيقي هم المخاطبون، أي "لكلّ إنسان موروث

89-الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 4/ 233.

90– محمّد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 5/ 35، 36.

جعلنا موالي أي وراثا ممّا ترك وهنا تمّ الكلام" [91]، والغاية من هذا تعظيم شأن العقود والوفاء بها كما جاء في مختصر تفسير ابن كثير "ولكن رغم نسخ التوراة بالحلف أمروا أن يوفوا بالعهود والعقود"[92].

وهكذا تتجلى عظمة القرآن الكريم وبصفة خاصة هذه السورة العظيمة المباركة في أساليبها المجازية، من مرسل واستعارة، ومجاز عقلي، بما تتجلى فيها من الجليّ الظاهر والروعة البادية، ممّا يأخذنا إلى الوقوف أمام صورة بيانية أخرى وهي الكناية.

3-مطلـــــب: الكنـــــاية.

تعريـــــف:

(وهي أن تتكلّم بشيء وتريد غيره أو تذكر شيئا يستدلّ به على غيره)[93].

ويعرّفها ابن هلال العسكري بقوله: (الكناية وهو أن يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرّح، على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء)[94].

ويعرّفها السكاكي بقوله: "هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك)[95].

أقسامـــــها:

قسم البيانيون الكناية إلى: (كناية عن صفة، وكناية عن موصوف، وكناية عن نسبة)[96].

---

[91]- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 5/ 21.

[92]- ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، 1/ 491.

[93]- ينظر: عاطف فضل محمّد، البلاغة العربية، ص111.

[94]- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص368.

[95]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص506.

[96]- عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، 2/ 136.

أ-كناية عن صفة:

ومن أمثلته قوله تعالى: {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وقد أَفْضَى بَعضُكُم إلى بَعْض وأخذن منكُم ميثاقا غَليظًا} الآية 21.

(كناية عن صفة الإفضاء إلى الشيء، لأنّه عبارة عن المباشرة له)[97].

(والكلام كناية عن الجماع، والعرب إنّما تستعملها فيما يستحي من ذكره كالجماع)[98].

والمعنى هنا يدلّ هي المضاجعة والصحبة أي شدة القرب بين الزوجين.

ونذكر كذلك قوله تعالى: {أُولَئِكَ الذينَ يَعْلَمُ اللهُ ما في قُلُوبهم فأعرض عَنْهُم وَعظهم وقل لهم في أنفُسِهِم قَوْلاً بَليغًا} الآية 63.

الكناية الأولى في قوله: (يعلم الله ما في قلوبهم) والغرض منه هو عدم التصريح بنفاقهم أي: "لا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم الخبيثة حتى يبقوا على نيران الوجل"[99].

فالله يعلم ما في قلوبهم من ستر ونفاق.

أمّا الكناية الثانية في قوله تعالى: (قل لهم في أنفُسهم)؛ أي: "قل لهم خاليا بهم لا يكون معهم أحد لأنّه أدعي إلى قبول النصيحة"[100].

ب- كناية عن موصوف:

ومن أمثلة هذا النّوع من الكناية قوله تعالى: {أَلَم تَرَ إلى الذينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُم بل الله يُزَكّي مَنْ يَشَاء وَلاَ يظلمونَ فَتيلاً} الآية 49.

---

[97]- ينظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه،641/1.

[98]- ينظر: محمّد وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، 3/ 474.

[99]- الألوسي، روح المعاني وتفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 5/ 69.

[100]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الكناية في (فتيلا) قال بعضهم: "الفتيل ما تفتله بين أصبعيك من الوسخ" [101]، وهنا في الفتيل يدلّ على معنيان الصغر في الحجم والحقارة والدناءة (الوسخ)؛ أي ظلما قدر الفتيل، وفيه دلالة على أنّ الله سبحانه وتعالى لا يظلم النساء، ولو بمقدار فتيل.

وقوله تعالى أيضا في بداية السورة: {يا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُم الذي خَلَقَكُم من نَفْس وَاحدَة} الآية 01.

(عبارة (من نفس واحدة) جاءت كناية عن آدم؛ أي خلقكم من نفس واحدة، وهي آدم، وهذه العبارة تنبيه على أنّ السلالة الإنسانية كلّها مشتقة بتقدير العزيز العليم القدير الحكيم من نفس واحدة، فلو خاطب الله الناس وقال: هو الذي خلقكم من آدم لم يكن في هذا التعبير تنبيه على عظيم قدرته)[102].

ومن مواضعها أيضا قوله تعالى: {إن يدعون من دونه إلاّ إناثا وإن يدْعُونَ إلاَّ شَيْطَانًا مريدا}الآية 117.

الكناية في الموصوف (إناثا) وروي عن الحسن "أنّه كان لكلّ حي من أحياء العرب صنم"[103]، يعبدونه ويسمّونه أنثى بني فلان لأنّهم يجعلون عليه الحلي وأنواع الزينة كما يفعلون بالنسوان"، وفي هذه الكناية تنبيه على تناهي جهلهم وفرط في حماقتهم لأنّهم كانوا يحبون المتعة والنساء وهذا سبب جعل الأصنام إناثا.

ج- كنايـــــة عن نسبة:

ومن أمثلتها نختار قوله تعالى: {يَومَئذٍ يَوَدُّ الذينَ كَفَرُوا وَعَصَوا الرَّسولَ لَوْ تُسَوّى بهم الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَديثًا} الآية 42.

---

[101]- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 2/ 60.

[102]- ينظر: عبد الرجمن حسن حنبكه الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، 2/ 144.

[103]- الألوسي، روح المعاني وتفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 5/ 148.

ففي هذه الآية وصف لحالة الذين كفروا وعصوا الرسول يوم لا ينفع العمل الصالح حيث ودوا لو يدفنون فتسوّى بهم الأرض كما تسوّى بالموتى، وقيل: يودّون أنّهم لم يبعثوا وأنّهم كانوا والأرض سواء، وقيل: تصير البهائم ترابا، فيؤدون حالها"[104].

ونسبة أمنيتهم في التسوية للأرض هي كناية عن نسبة، لأنّ همهم الوحيد هو تسوية أجسادهم، وفيها تصوير للحالة المزرية التي يكون عليها الكفار والطغاة.

ونذكر كذلك قوله تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فأولئكَ معَ الذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهم منَ النبيّين والصديقينَ والشُّهَدَاء وحَسُنَ أولَئكَ رَفيقًا} الآية 69.

حيث شبّه سبحانه وتعالى نعمته التي ينعمها على عباده النبيين والصديقين والشّهداء الأبرار لتكون الكناية عن نسبة إلى من هم مع هؤلاء؛ أي ينعمون بما ينعم به المذكورون في الأية ،فكل انسان مؤمن يطمح الى الفوز بنعمته عز وجل ،وفي هذه الأية تخصيص للنبيين والصديقين والشّهداء بالذكر في درجة النعم لما لهم من مكانة عند الله سبحان وتعالى.

وهكذا تمتلئ هذه السورة الكريمة بألوان من الصور البيانية التي تموج بالحركة وتنبض بالحياة من جمالها الآسر الأخاذ من تنوع بين التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية ذلك هو أسلوب القرآن.

فهذه أنماط وصور من أساليب البيان في سورة النّساء، وهي غيض من فيض، وقطرة من بحر، بيدا أنّها جهد المقلّ، الذي أسعده تأمّله مليّا "في عجائب هذه الأساليب، واستلهام روائع البيان القرآني التي لا تنفذ كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَو كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ ربّي لَنفِذَ البَحْرُ قبْلَ أنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ ربّي ولَوْ جِئنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الكهف 109.

وبهذا التقديم الوجيز للبيان ننتقل إلى الجزء الثاني من هذا الفصل وهو البديع.

[104]– الزمخشري، الكشاف عن غوامض حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 2/ 80.

المبحث الثاني: علم البديع

تعريف:

-لغة:

كما جاء في معجم أساس البلاغة، باب الباء، مادة بدع، << بدع: أبدع الشيء وابتدعه: اخترعه>>[105]

-اصطلاحا:

<< علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة>>[106]

والقرآن كله من إبداع الله سبحانه وتعالى معجز بصوره البلاغية لقوله تعالى: { بَدِيعُ السَموَاتِ والأرْض} البقرة 117.

كما يعرف أيضا بأنه << العلم الذي تُعرف به المحسنات الجمالية المعنوية واللفظية المنثورة التي لم تلحق بعلم المعاني، ولا بعلم البيان>>[107].

مطلب 01: المحسنات البديعية المعنوية

<<وهي التي يكون التحسين بها راجع إلى المعنى أولا وبالذات>>[108]، ونذكر بعضها:

1-الطباق:

<< وهو الجمع بين معنيين متقابلين سواءً أكان ذلك التقابل تقبل التضاد أم الإيجاب والسلب>>[109].

أ-طباق الإيجاب:

ومن أمثلته ذكر قوله تعالى: { للرِّجَالِ نَصيبٌ ممَّا تَرَكَ الوَالِدَان والأقْرَبُونَ وللنِّسَاءِ نَصيبٌ ممّا تَرَكَ الوَالِدَان والأقْرَبُونَ ممَّا قَلَّ منْهُ أو كَثُرَ نَصيباً مفْروضاً} الآية 07.

فالطباق في هذه الآية واضح يكمن بين الفعلين (قلّ) و(كثر)، وكل منهما على طريقة الإيجاب أي بإثبات المعنيين المتضادين.

---

[105] الزمخشري، أساس البلاغة، 50/1.
[106] عائشة حسين فريد، وشى الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء، القاهرة، 2000م، ص369.
[107] عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، 269/2.
[108] عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، منشورات جامعة بنغازي، ط2، 1997م، ص160.
[109] المرجع نفسه، ص162.

وتقديم القلة على الكثرة من باب أن الله سبحانه وتعالى << لا يغادر صغيرة أو كبيرة إلا أحصاها>>[110]، وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة فقط.

والغرض من إيراد معنيين متضادين هو أن الله سبحانه وتعالى يساوي بين كل من القلة والكثرة في الموروث فهو يحصي كل شيء.

كما نذكر في قوله تعالى: { وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالهم إنه كان حوبا كبيرا} الآية 02.

موضع الطباق بين الاسمين (الخبيث) و(الطيب)، << الخبيث هو الحرام من المال والطيب هو الحلال المستساغ>>[111]

ومعناه: << ألا تستبدلوا أموال اليتامى أو لا تذروا أموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من أموالهم فالمنهي عنه استبدال مال اليتيم بمال أنفسهم مطلقا، أو أكل ماله مكان مالهم المحقق أو المقدر>>[112]

والغاية من التعبير عن ذلك بالخبيث والطيب << التنفير عما أخذوا والترغيب فيما أعطوه إما الرديء أو الجيد>>[113]

ومنه قوله تعالى:{ ومنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حسَنَةً يكُنْ لهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ومنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيئَةً يكُنْ لهُ كِفْلٌ مِنْهَاوكَانَ اللهُ عَلى كُلِ شَيْءٍ مُقِيتاً} الآية 85.

<<"كفلٌ" نصيب وحظ>>[114]

<<أما الشفاعة فهي الوساطة في إيصال الشخص إلى منفعة دنيوية أو أخرويه، أي منفعة أسمى وأجل وأعظم من التحريض على الجهاد>>[115]

الطباق بين (حسنة) و(سيئة) وهما صفتان متضادتان للشفاعة، << فالتعبير بالنصيب في الشفاعة الحسنة، وبالكفل في الشفاعة السيئة للتفنن، وفرق بينهما بعض المحققين بأن النصيب يشمل الزيادة، وكفل هو المثل المساوي، فاختيار النصيب أولا لأن جزاء الحسنة يضاعف، والكفل ثانيا لأن من جاء بالسيئة لا يجزى إلا بمثلها>>[116]

---

[110] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 211/4

[111] محمد وصافي، الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرفه، 433/3.

[112] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 4/ 187.

[113] المرجع نفسه، 188/4.

[114] -محمد حسن عثمان،إعراب القرآن الكريم و بيان معانيه،جمع المادة التفسيرية:عبد الله العزيزأمين،دار الرسالة،القاهرة،ط1،2002م،664/2.

[115] الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، 76/2.

[116] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 98/4.

وفي هذا الطباق أشار إلى لطف الله بعباده وذكر الكفل جانب الشفاعة السيئة دعوة للتنفير منها.

وهناك ما يخفى من الطباق أي يفهم من معناه أنه طباق كقوله تعالى:{فإن كرّهتُموهُنَّ فعسى أنْ تكرهوا شَيْئاً ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا} جزء من الآية 19.

فهذه حكمة عظيمة، <<إذ قد تكره النفوس ما في عاقبته خير فبعضه يمكن التوصل إلى معرفة ما فيه من الخير عند غوص الرأي، وبعضه قد علم الله أنّ فيه خيرًا لكنه لم يظهر للنّاس>>.[117]

الطباق في هذه الآية يتجلى بين (تكرهوا) و{يجعل الله فيه خيرًا كثيرًا}، وهو طباق يظهر بعد التعمق في معنى الآية، حيث جمع بين الكره وبين ما يتعلق من وجود الخير، ووجود الخير يؤدي بالنفس إلى حبها، أي أنّ وجود الخير يتسبب عنه الحب وهو ضد الكره.

والغرض من هذا الطباق تنبيه على أنّ الله عالم بكل شيء خيره وشره، نفعه وضرره، كما قال الزّمخشري:<<فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهية الأنفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأحمد وأدنى إلى الخير، وأحبت ما هو بضد ذلك>>.[118]

ب–طباق السلب:

ومن مواضعه في سورة النساء قوله تعالى: { إنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أنْ يُشْرِكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بالله فقَدْ افْتَرى إثْماً عَظيماً} الآية 48.

وتكرر ذلك أيضا في قوله تعالى: { إنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أنْ يُشْرِكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بالله فقَدْ ظَلَّ ظَلالاً بَعيدًا} الآية 116.

والله عزّ وجل غفور رحيم يغفر لمن يشاء، أي من تاب كانت له مغفرة من الله عزّ وجل ومن ظلّ على كفره وشركه وظلاله لا يغفر له ذلك ووجه قوله تعالى: {إنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أنْ يُشْرِكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلكَ لِمَنْ يَشَاءُ}<< أن يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين إلى قوله تعالى: { لمن يشاء}>>[119]، أن المغفرة وعدم المغفرة تكون بمشيئته عزّ وجل، فالآيتين الكريمتين برهان على وجوب طاعة الله وإخلاص العبادة له، فمهما بلغت خطايا العبد من شرك ظلال وتاب بعدها كانت رحمة الله واسعة.

[117] محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 287/4.
[118] الزمخشري:الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، 45/2.
[119] المرجع نفسه، 89/2،90.

والطباق في هذين الآيتين بين (لا يغفر) و (يغفر)، والسلب لأنه بين معنى منفى والآخر مثبت. والغرض البلاغي منه إظهار أن الشرك من أعظم الذنوب وأكبرها، وكل ما دونه قابل للمغفرة بمشيئته سبحانه وتعالى.

ومنه قوله تعالى: { ولا تَهِنُوا في ابْتِغاءِ القَوْمِ إنْ تَكُونُوا تأْلَمُون فإنهم يأْلَمُونَ كما تأْلَمُونَ وترجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وكَانَ اللهُ عَليماً حَكِيماً} الآية 104.

بدأت هذه الآية بالنهي عن الضعف << أي لا تضعفوا ولا تتوانوا طلب الكفار بالقتال وعلل ذلك بقوله تعالى: { إنْ تَكُونُوا تأْلَمُون فإنهم يأْلَمُونَ كما تأْلَمُونَ} [120]، ومعنى ذلك <<ليس ما تكابدون من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم وإنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبكم كما يصيبهم، ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون فمالكم لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أولى منهم بالصبر لأنكم {ترجون من الله ما لا يرجون} من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم في الآخرة>>[121]

والطباق في هذه الآية بين (ترجون) و(لا ترجون) عن طريق السلب وذلك أنهما من لفظ واحد، غير أن المعنى الأول مثبت والثاني منفي، حيث ورد المعنى المثبت في حق المؤمنين والمعنى المنفي في حق عدو المؤمنين وذلك << يكون وعدا للمسلمين بأن الله ناصرهم، وبشارة بأن المشركين لا يرجون لأنفسهم نصرا، وأنهم آسون منه بما قذف الله في قلوبهم من الرعب، وهذا ما يفت في ساعدهم>>[122]

والغرض البلاغي من هذا الطباق الحث على النضال والثبات فيه للوصول إلى ما يرجون من النصر.

2-المقابلة:

<< وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يقابل ذلك على الترتيب اللفظي بأن يكون الأول للأول والثاني للثاني>>[123]

ويعرفها السكاكي بقوله: << وهي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر، وبين ضديهما>>[124]

ومن أمثلتها قوله تعالى: { وابْتَلُوا اليَتَامى حَتى إذَا بَلَغُوا النِّكاح فإنْ آنَسْتُمْ مِنْكُمْ رُشْداً فادْفَعُوا إلَيْهُمْ أَمْوالَهُمْ ولاَ تأْكُلُوهَا إسْرافاً وبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا ومَنْ كَانَ غَنِيًّا فليَسْتَعْفِفْ ومَنْ

[120] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 138/5
[121] الزمخشري:الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، 144/2،145.
[122] محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 190/5.
[123] عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ص170.
[124] السكاكي،مفتاح العلوم، ص533.

كَانَ فَقيراً فلْيَأكلْ بالمَعْرُوفِ فإذَا دَفَعْتُمْ إلَيْهُمْ أمْوالَهُمْ فأشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وكَفَى باللهِ حسِيباً} الآية 06.

والمقابلة تكمن في قوله:{ ومَنْ كَانَ غَنِيًّا فليَسْتَعْفِفْ ومَنْ كَانَ فَقيراً فلْيَأكلْ بالمَعْرُوفِ} وفي هذه الآية << تخصيص لعموم النهي عن أكل أموال اليتامى في الآيتين السابقتين للترخيص في ضرب من ضروب الأكل، وهو أن يأكل الوصي الفقير من مال محجوره بالمعروف، لأنه إذا لم يعط وصيه الفقير بالمعروف ألهاه التدبير لقوته عن تدبير مالمحجوره>>[125]، حيث نُهي الغني عن أكل مال اليتيم لما له من مال، فأمر بالاستعفاف <<أي الكف وهو أبلغ من العف، كأنه يطالب زيادة العفة من نفسه هضما لها وحملا على النزاهة>>[126]

والغرض منها (منع الاستعفاف عن أكل شيء منها مقابل القيام عليها –إذا كان الولي غنيا– والأكل منها في أضيق الحدود – إذا كان الولي محتاجا)[127]

وكذلك قوله تعالى : { إنَّ الذين كَفَرُوا بِآياتِنَا سَوْفَ نُصلْيهِمْ نَارَا كُلَمَا نضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَها لِيَذُوقُوا العَذَابَ إنَّ اللهَ كَانَ عزِيزاً حَكِيماً (56) والذِّينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَات سنُدْخِلُهمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنْهَارُ خَالِدينَ فيهَا أبَداً فيهَا أزْوَاجٌ مُطَهَرَةٌ ونُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَليلاً} الآيتين 56، 57.

المقابلة بين (الذين كَفَرُوا) مقابل (الذِّينَ آمَنُوا) و(نُصلْيهِمْ نَارَا) مقابل (سنُدْخِلُهمْ جَنَّاتٍ).

ومعنى نصليهم كما جاء في القاموس المحيط (مادة صلى)، من صلي << وأصلاه النار، وصلاة إيّاها، وفيها ،وعليها: أدخله إياها، وأثواه فيها>>[128]

حيث تم التقابل بين حال من آمن ومآله وبين حال الكافر ومآله، أي أن وصف العذاب يقابل وصف النعيم فالعذاب يكون بإصلاء النار أما النعيم فيكون بالدخول إلى الجنة التي تجري أنهارها وغيها من النعم الوافرة.

والغرض البلاغي من هذه المقابلة تصويرلنعيم الجنة وعذاب النار مما يدفع المتأمل في هذه الآية إلى اختيار الطريق الصحيح الذي يريد أن يكون عليه.

ونذكر كذلك قوله تعالى: { إنَّ الذِينَ يَكْفُرونَ باللهِ ورُسُلِهِ ويُرِيدُونَ أنْ يُفَرِقُوا بَيْنَ اللهِ ورُسُلِهِ ويَقُولُونَ نُؤْمِنُ ببَعْضٍ ونَكْفُرُ ببَعضٍ ويُرِيدُونَ أنْ يَتخِذُوا بَيْنَذلِكَ سَبِيلاً(151) أولَئِكَ هُمْ الكَافِرُونَ حَقاً واعْتَدْنَا للكَافِرِينَ عَذاباً مُهيناً(152) والذِينَ آمَنُوا باللهِ ورُسُلِهِ ولم يُفَرِقُوا

[125] محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 245/4.
[126] محمد وصافي، الجدول في إعراب القرآن وبيانه وصرفه، 442/3.
[127] سيد قطب، ظلال القرآن، م1، 586/4.
[128] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (مادة صلى)، ص1303.

بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وكَانَ الله غَفُوراً رَحيماً} الآيات 151، 152، 153.

في الآية نلاحظ أن (الذِينَ يَكْفُرونَ) مقابل(سَوْفَ يؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ) و(يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرقُوا) مقابل (ولم يُفَرقُوا) و(واعْتَدْنَا للكَافِرِينَ عَذاباً مُهيناً) مقابل (سَوْفَ يُؤتِيهِمْ أُجُورَهُمْ)، أي أن الله سبحانه وتعالى يؤتي هؤلاء الذين آمنوا أجرا على إيمانهم وإخلاصهم في عبادته فمن <<عادة القرآن عند التعرض إلى أحوال من أظهروا النواء للمسلمين أن ينتقل من صفات المنافقين أو أهل الكتاب، أو المشركين إلى صفات الآخرين>>[129]

وجيء بجملة << (والذِينَ آمَنُوا باللهِ ورُسُلِهِ) إلى آخرها لمقابلة المسيئين بالمحسنين، والنذارة بالبشارة على عادة القرآن>>[130]

فالغرض منها هو بيان الفرق الشاسع بين كلا الفريقين.

3-التورية:

<< وهي أن يطلق لفظا له معنيان أو أكثر، وأحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة وهو غير مراد والثاني بعيد ودلالة اللفظ عليه غير ظاهرة لفظة استعماله فيه وهو المراد اعتماداً على قرينة خفية>>[131]

ولتوضيح ذلك نذكر قول حسن عباس أن <<التورية هي أن يذكر المتكلم لفظا مفرداً له معنيان، على سبيل الحقيقة، أو على سبيل الحقيقة والمجاز، أحدهما ظاهر قريب يتبادر إلى الذهن وهو غير مراد، والآخر بعيد فيه نوع خفاء وهو المعنى المراد، لكن يورّى عنه بالمعنى القريب ليثبت الذهن إليه ويتوهمه قبل التأمل بتنبه المتلقي فيُدرك المعنى الآخر المراد>>[132]

ومن أمثلة التورية في سورة النساء المباركة نختار قوله تعالى: {وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعدلوا} الآية 03.

تعولوا: << من قولهم: عال الميزان إذا مال، وميزان فلان عائل، وعال الحاكم في حكمه:إذا جار>>[133]

---

[129] محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 8/6.
[130] المرجع نفسه، 12/6.
[131] عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ص 185.
[132] عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، 373/2.
[133] الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، 661/1.

وقد يكون هذا هو المعنى القريب وسبب ذلك قوله تعالى:{ وإن خفتم أن لا تقسطوا} فالقسط بمعنى العدل ويكون بذلك العول مقابلا للقسط وهو المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهن، (فالقيد يحمي الحياة الزوجية من الفوضى والاختلال كما أنه يحمي الزوجة من الجور والظلم والفساد)[134]، وقد يكون بُمعنى (قام بمؤونة العيال، وكثر عياله) [135]، غير أن <<العدل أجدر أن يراعي في المحضن الذي يضم الأسرة >>[136]، ووجه أن يجعل من <<قولك: عال الرجل عياله يعولهم، كقولهم: مانهم بمونهم، إذا أنفق عليهم لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم>>[137] وسلك في تفسير هذه الكلمة طريق الكناية.

فيكون بذلك كثرة العيال هو المعنى البعيد لهذه التورية، والغرض البلاغي من ذلك احتمال ورود المعنى الأول والمعنى الثاني.

ومثال ذلك قوله تعالى: { يَا أَيُّها الذِينَ آمنُوا إذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَنُوا ولاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إليكم السَلاَم لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرض الحَيَاةَ الدُنْيَا فَعِنْدَ الله مَغَانِمُ كَثِيرَة كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ الله عَلَيْكُمْ فتَبَيَّنُوا إنَّ اله كَانَ بِمَا تَعْلَمُونَ خَبِيراً} الآية 94.

ضربتم: << سرتم فيها لتجارة أو غزوة>>[138]

وهذا هو المعنى الأول وقد يكون هو المعنى القريب للذهن في الوهلة الأولى غير أن هناك معنى آخر وذلك يفهم من سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس قال << مرّ رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– يرعى غنما له وسلم عليهم فقالوا: لا يسلم علينا إلا ليعود منا، فعمدوا إليه فقتلوه وآتوا بغنمة النبي –صلى الله عليه وسلم– فنزلت الآية: { يَا أَيُّها الذِينَ آمنُوا} إلى آخرها>>[139]

وهذا هو المعنى الثاني ضرب الرقاب أي القتل، كما جاء في قوله تعالى: {فضرب الرقاب} سورة محمد الآية 04، وبذلك يكون الغرض منها جمع المعنيين وكلاهما طاعة لله تعالى.

4–التوجيه:

<<وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين>>

ومنه قوله تعالى: { واسْمَعْ غير مسْمعٍ وراعنا} النساء الآية 46.

---

[134] ينظر: سيد قطب،في ظلال القرآن، م1، 581/4

[135] ينظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، 661/1.

[136] سيد قطب، في ظلال القرآن، م1، 584/4

[137] الزمخشري:الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل،16/2.

[138] الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، 90/2.

[139] ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، 539/1.

التوجيه يكمن في قولهم (واسمع غير مسمع)، قال فيها الزمخشري: <<(غير مسمع) حال من المخاطب، أي:اسمع وأنت غير مسمع، وهو قول ذو وجهين:

يحتمل الذم أي: اسمع منا مدعوّا عليك–بلا سمعت– لأنه لو أجبت دعوتهم عليه لم يسمع، فكان أصم غير مسمع: قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم:–لا سمعت– دعوة مستجابة، أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعوا إليه، ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنّك لم تسمع شيئا. أو اسمع غير مُسمع كلا ما ترضاه، فسمعك عنه ناب.

ويحتمل المدح، أي اسمع غير مسمع مكروها، من قولك " اسمع فلان فلانا" إذا سبّه>>[140] فهذه الآية إذن تحمل وجهين مختلفين من الكلام هما الذم والمدح.

<< أما الموضع الثاني من التوجيه قولهم (راعنا) يحتمل راعنا نكلمك، أي ارقبنا وانتظرنا، ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها، وهي: راعينا >>[141]

وفي ذلك أذى وسخرية للرسول عليه الصلاة والسلام بإظهار شيء وإخفاء ضده، ولكن الله سبحانه وتعالى كشف خباياهم بقوله { ليًّا بألسنتهم} << الليّ يكون بمعنى الانحراف والالتفاف والانعطاف عن جهة أخرى>>[142]، أي التحريف في الكلام والميل ليغيروا عما أرادوا.

5–المشاكلة:

<< وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا>>[143]

كما يعرفها حسن عباس بـــ<< أن تذكر في اللغة المشابهة والمماثلة>>[144]

ولتوضيح ذلك نختار من سورة النساء قوله تعالى: { فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلاّ نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا } الآية 84.

سميت قدرة الله على العدو بأسا مشاكلة لما سبقها أي (هو قادر عليهم في الدنيا الآخرة)[145]

غير أن ظهور هذه القدرة باسم البأس سيدخل الخوف والرهبة في قلوب الأعداء، وفي مقابل ذلك يطمئن الله به المؤمنين ويشد من عزمهم.

---

[140] الزمخشري:الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، 2/86،87.
[141] المرجع نفسه، 2/87.
[142] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 5/ 48.
[143] عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، 4/19.
[144] عبد الرحمان حسن حنيكة الميداني، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، 2/438.
[145] ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، 1/532.

ومثله قوله تعالى: { يَسْأَلُكَ أَهلُ الكِتَابِ بأَنْ تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً منَ السَمَاءِ فقَدْ سَأَلُوا موسَى أَكْبَرَ منْ ذَلِكَ فقَالُوا أَرِنَا اللهَ جهْرَةً فَأَخَذَتْهُمْ الصَاعِقَةُ بظُلْمِهِمْ ثُمَ اتَخَذُوا العِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا َجَاءتهمْ البَيِنَات فَعَفَونَا عنْ ذَلِكَ وآتَيْنَا مُوسَى سُلْطاناً مبيناً} الآية 153.

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى الذين فرقوا بين الرسل وهم اليهود باسم أهل الكتاب وكان ذلك من باب المشاكلة، أي مشاكلا سؤالهم الرسول بأن ينزل عليهم كتابا وما كان " مقصدهم من ذلك إلا التحكم والتعنت"[146]

وهذا ما تبينه مشاكلة تسميتهم أهل الكتاب بطلبهم إنزال كتاب من السماء، فلو كان ذلك حجة يسلمون بها لكانوا قد اكتفوا بما أنزل عليهم سابقا.

6-مراعاة النظير:

(ويسمى التناسب أو الائتلاف والتوفيق أيضا، وهي أن يجمع في الكلام بين أمره وما يناسبه لا بالتضاد)[147]

ومن مواضعه نختار قوله تعالى: { والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً} الآية 57.

بين لنا سبحانه وتعالى في هذه الآية جزاء من آمن وعمل صالحا وهو دخول جنات تجري من تحتها الأنهار، ثم نعمة الخلود، ثم يذكر لنا نعمة الأزواج المطهرة ويغطي تلك النعم الظل الظليل << أي فيناناً لا حوب فيه>>، ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حرّ فيه ولا قرّ>>[148]، وقال ابن كثير: << { وندخلهم ظلا ظليلا} أي: ظلا عمقا كثيرا غزيرا طيبا أنيقا>>[149]

فالائتلاف بين الظل الظليل، والأزواج المطهرة، والخلود ،وكلها من نعم الله سبحانه وتعالى على رحمته الواسعة.

كما نذكر قوله تعالى:{واعْبُدوا الله ولاَ تَشْرِكُوا به شيْئاً وبالوالدَيْنِ إحْساناً وبذي القُربىَ واليَتَامى والمَسَاكِين والجَارِ ذي القُربَى والجَارِ الجُنُبْ والصَاحبِ بالجُنُبْ وابن السبيلِ ومَا ملَكَتْ أيْمَانُكُمْ إنَّ الله لاَ يحِبُ منْ كَان مُخْتالاً فَخُوراً} الآية 36.

---

[146] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 5/6.
[147] عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، 14/4.
[148] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 60/5.
[149] ابن كثير: مختصر تفسير ابن كثير، 516/1.

فمراعاة النظير في هذه الآية واضحة في تناسب الفئات التي يأمر الله بالإحسان إليهم، مع ترتيب في الأقرب بالنسبة للعبد المأمور، وهذا العمل يأتي بعد الطاعة والتقوى لسبحانه عزّ وجل مع وجوب الامتثال له فهو لا يحب كل مختالٍ فخور، وهو المتكبر على عبادة الله.

كما نذكر قوله تعالى: {ومنْ يقْتلْ مؤْمِناً متَعَمِداً فجَزاءُه جَهَنم خالِداً فيهَا وغَضَبَ الله عليْهِ ولعَنهُ وأعدَّ لهُ عَذاباً عظيماً} الآية 93.

نرى فن مراعاة النظير جلي في هذه الآية وذلك أن الآية تحتوي على كثير من الألفاظ الدالة على التهديد الشديد والوعيد من الجزاء، جهنم خالدا فيها، غضب الله، واللعنة، والعذاب العظيم، وكلها إشارة إلى أن جريمة القتل من أكبر الجرائم وأشدها شرا.

مطلب 02: المحسنات البديعية اللفظية:

<< وهي ما كان التحسين فيها راجعا إلى اللفظ أولا وبالذات>>[150]نذكر منها:

1-الجناس:

<<وهو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى>>[151]

وقال فيه عبد القاهر الحرجاني: << أما التجنيس فإنك لا تستحس تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا>>.[152]

أ-الجناس التام:

<<وهو: أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها، وهيئاتها، وترتيبها [153]، ومن بعض أنواعها:

(اللاحق: وهو أن يختلف اللفظان في حرف واحد منهما غير متقاربين في النطق)[154]

(المماثل: يكونان من نوع واحد أي اسمين، أو فعلين

المستوفي: يكونان من نوعين مختلفين)[155]

---

[150] عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ص161.
[151] عبد الرحمان حسن حنيكة الميداني، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، 485/2.
[152] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة:ص14
[153] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص393.
[154] ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص540.
[155] ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص393.

ب-الجناس غير التام:

<< وهو أن يختلف في أعداد الحروف فقط بزيادة حرف أو أكثر أو نقص حرف أو أكثر>>[156]، ومن أنواعه:

(المضارع أو المطرف: وهو أن يختلف بحرف أو بحرفين مع تقارب المخرج)[157]

(المحترف: وهو ما اختلف فيه اللفظان في هيئة الحروف، واتفق في نوعها وعددها وترتيبها.

الناقص: وهو ما نقصت فيه حروف أحد اللفظين عن آخر، مع اتفاق الباقي في النوع والهيئة والترتيب)[158]

وللجناس قيمة جمالية عظيمة فهو يجمع بين الانسجام الصوتي والانسجام المعنوي ومن أمثلته قوله تعالى: { فإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أو مَا ملكَتْ أيْمانُكُمْ ذَلِكَ أدْنَى ألاتَعْدِلُوا} جزء من الآية 03.

التجانس في هذه الآية بين (تعدلوا) و(تعولوا) وهو جناس غير تام، لاحق، وذلك أن العدل والعول كلمتان متجانستان تختلفان في حرف واحد وهو الدال والواو وتتفقان في الوزن، وعدد الحروف وهيئاتها وترتيبهاــ، وهذان الحرفان المختلفان من مخرجين متباعدين (فالدال من الحروف النطعية صوت ساكن مجهور) [159]، شديد أما الواو فهي (من أقصى الحنك من أصوات اللين)[160]

والعدل << ضد الجور، وما قام في النفوس أنه مستقيم >>[161]، أما العدل: " جار ومال عن الحق"[162] والعدل يدل على الشدة والصلابة في الصوت، وفي معنى الاستقامة، فنرى أن هناك توافق بين الصوت والمعنى الذي تحمله الكلمة، وكذا في العدل التي تدل على اللين والرخاوة وتتناسب مع الميل عن الحق، فهنا نجد تناسقا بين صفة صوت الحرف ومعناه كما ينسجم مع الغرض المقصود من الآية.

ونذكر قوله أيضا: { وإذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ منَ الأَمْنِ والخَوفِ أذاعُوا ولَوْ رَدُّوه إلىَ الرَّسُول وإلىَ أُولِى الأمر مِنْكُمْ مِنْهُمْ لَعَلِمِه الذِينَ يستَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ولَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ لاتَبَعَكُمْ الشَيْطانُ إلاَّ قَلِيلاً} الآية 83.

---

[156] المرجع نفسه، ص5.
[157] ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص539.
[158] ينظر: عبد الرحمان حسن حنيكة الميداني، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، 491/2.
[159] ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية،مكتبة نهضة مصر،مصر، ص25.
[160] ينظر: المرجع نفسه، ص22.
[161] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص1030.
[162] المرجع نفسه، ص1036.

التجانس يقع بين (أمر) و(أمر)، وكذا بين (أمر) و(أمن)

نبدأ أولا بالجناس الأول: ففي قوله { وإذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ منَ الأَمْنِ والخَوفِ} أي " ما يوجب الأمن والخوف"[163]

أما <<(أولى الأمر) فهم كبائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم البصراء في الأمور>>[164]

وهو جناس تام مماثل من نفس النوع متماثلين، الكلمتان اختلفتا في المعنى واتفقتا في نوع الكلمة، وفي نوع الحروف وهيئاتها وعددها وترتيبها، وهو يدل على عمق المعنى.

أما الجناس الثاني: بين (أمر) و (أمن) هو جناس غير تام مضارع، فالكلمتان تختلفان في حرف واحد وهو (الراء) و(النون) غير أنهما متقاربتين في المخرج (صوتين ساكنين مجهورين)[165]، << وهما من حروف الذلاقة التي تخرج من طرف اللسان>>[166]

2-السجع:

<< هو توافق الفاصلتين من النثر على روي واحد في آخرها، والفاصلة هي الكلمة الأخيرة من جملة مقارنة لأخرى>>[167]

<< والسجع في البديع: هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على عزو واحد، وهو في النثر كالقافية في الشعر>>[168]

ومن أنواعه:

(المطرف: وهو ما اختلفت فيه الفاصلتان في الوزن واتفقتا في الحرف الأخير

المرصع: ويسمى الترصيع: وهو أن يكون في إحدى القرينتين من الألفاظ مثل ما يقابلها من الفقرة الثانية في الوزن والتقفية.

الموازي: هو ما لم يكن جميع ما في القرينة، ولا أكثره مثل ما يقابله من القرينة الأخرى، كما أنه يختص في التوافق بين الكلمتين الأخيرتين من الفقرتين فقط)[169]

ومنه تقسيم السجع من جهة الطول والقصر إلى:

(السجع القصير، السجع المتوسط، السجع الطويل)[170]

---

[163] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 93/5.
[164] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[165] ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص22.
[166] عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، 74/4.
[167] عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ص 216.
[168] عبد الرحمان حسن حنيكة الميداني، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، 503/2.
[169] ينظر: عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، ص 217،218.

وقال فيه عبد القاهر الجرجاني: << فأنت لا تجد ...لفظا اجتلب من أجل السجع، وترك له ما هو أحق بالمعنى منه وأبْوبُه وأهدى إلى مذهبه >>[171]، وذلك << أن العرب كما تعني بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها، ونلاحظ أحكامها، بالشعر تارة، وبالخطب أخرى، والأسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها، فإن المعاني أقوى عندها، وأكرم عليها، وأفخم قدرا في نفوسها... ألا ترى أن المثل إذا كان مسجوعا لذ لسامعه فحفظه... ولو لميكن مسجوعا لم تأنس النفس به ولا أنقت لمستمعه، وإذا كان كذلك لم تحفظه ولم تطالب نفسها باستعمال ما وضغ له وجيء به من أجله>>[172]

ومن مواضعه قوله تعالى: { واللذَان يأتَيانها مِنْكُمْ فأذُوهُمَا فإنْ تَابَا وأصْلحَا فأعْرِضوا عَنْهُما إنَّ الله كَانَ تواباً رَحيماً (16) إنما التَوبَة عَلى الله للذينَ يَعلَمُونَ السُوءَ بِجَهَالةٍ ثُمَ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبِ فَأولَئِكَ يَتُوبُ الله عَلَيْهِمْ وكَانَ الله عَلِيماً حكِيماً (17) ولَيْسَتْ التَوبَة للذِينَ يَعلَمونَ السَيئاتِ حتَى إذا حَضَرَ أحَدُهم المَوتَ قَال إنّى تَبْتَ الآنَ ولاَ الذِينَ يَمُوتُونَ وهُمْ كُفَارٌأولَئِكَ اعْتَدنَا لَهُمْ عَذاباً أليماً} الآيات 16، 17، 18.

السجع في هذه الآيات بين (رحيما– حكيما–أليما)، وهو سجع متوازٍ طويل بنفس الوزن والتقفية.

ومعنى هذه الفواصل:

{ إنَّ الله كَانَ تواباً رَحيماً}<< مبالغا في قبول التوبة، { رحيما} واسع الرحمة والجملة في معرض التعليل للأمر بالإعراض، والخطاب هنا للحكام ويجوز أن يكون للشهود الواقفين على فعلتها>>[173]

وقوله تعالى: { وكَانَ الله عَلِيماً} << أي يعلم بإخلاص من يتوب {حكِيماً} فلا يعاتب التائب، والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها>>[174]

أما قوله تعالى: { أولَئِكَ} << أي الفريقين المترامي حالهم إلى الغاية القصوى في الفظاعة {اعْتَدنَا لَهُمْ} أي هنيئا لهم...{ عَذاباً أليماً} أي مؤلما موجعا>>[175]

والغرض من الفاصلة الأولى (رحيما) التأكيد على قبول توبتهما، والتعليل للأمر بالإعراض عنهما.

أما الفاصلة الثانية (حكيما) أن الله شديد العلم بكل شيء وحكيم بكل شيء.

---

[170] ينظر: عبد الرحمان حسن حنيكة الميداني، البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها، 509/2.
[171] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص9.
[172] ابن جنيء، خصائص تحقيق : محمد علي النجار، المكتبة العلمية، 215/1،216.
[173] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 236/4.
[174] المرجع نفسه، 239/4.
[175] المرجع نفسه، 240/4.

أما الفاصلة الثالثة (أليما) فيها بيان لشدة العذاب والألم الكبير بسبب الذنوب العظيمة.

كما نذكر قوله تعالى: { وإذا لآتيناهم من لدُنّا أجراً عظيماً(67) ولهديناهم صراطاً مستقيما}

السجع في (عظيما–مستقيما) وهو سجع مطرف لأنهما يختلفان في الوزن قصير القرينة بنفس التقفية.

والأجر يوصف في القرآن الكريم بالعظم والكبر، وغيرها من الصفات الحسنة، الغرض من اختيار هذه الفاصلة هو المبالغة في الكبر والترغيب في طاعة الله ورسوله.

ومستقيما << استقام: اعتدل >>[176]، والغرض من هذه الفاصلة هو الهداية للتوفيق في زيادة الخيرات وللفوز بأعلى المراتب.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: { رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلّم الله موسى تكليما (164) رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما} الآيتان 164، 165.

السجع في (تكليما–حكيما) وهو سجع مطرف فالكلمتان ليستا على نفس الوزن والحروف متماثلة، ومعنى قوله(تكليما) أن موسى– عليه السلام– سمع كلاما من عند الله بحيث لا يحتمل أن الله أرسل إليه جبريل –عليه السلام– بكلام أو أوحى إليه في نفسه>>[177]

وفي قوله تعالى: { وكان الله عزيزاً} << أي لا يغالب في أمر يريده، {حكيما}في جميع أفعاله>>[178]، ووجه وضع هذه الفاصلة هو قطع سبل الحجة على الكافرين بالرسل المبشرين والمنذرين فلا يمكنهم أمامهم الإنكار.

3–رد العجز على الصدر:

<< وهو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين لهما في أول الفقرة والآخر في آخرها>>[179]

[176] الفيروز أبادي، القاموس المحيط (مادة قوم) ، ص1152.
[177] محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 38/6.
[178] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،19/6.
[179] عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة،77/4.

ومثاله في هذه السورة قوله تعالى: {ولَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عليْكُمْ ورَحْمَتِهِ لهَمَتْ طائِفَةٌ منْهُمْ أن يُضلُّوكَ ومَا يُضلُّونَ إلاَ أنْفُسهُمْ ومَا يَضُرونَكَ مِنْ شيْءٍ ولأنزلَ اللهُ علَيْكَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وعَلَمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمْ وكَانَ فَضْلُ اللهِ عليْكَ عظِيماً} الآية 113.

حيث بدأت هذه الآية الكريمة بذكر فضل الله سبحانه وتعالى على نبيه بقوله {ولَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عليْكُمْ ورَحْمَتِهِ}، كما ختمت بذكر الفضل نفسه في قوله تعالى: { وكَانَ فَضْلُ اللهِ علَيْكَ عظِيماً } << وهو من باب ردّ العجز على الصدر، لزيادة التأكيد على أهم معنى دارت حوله الآية –فضل الله على نبيه– وذلك لإحباط كبر الكافرين لظلال النبي – صلى الله عليه وسلم– فكان فضله سبحانه عليه بإنزال الكتاب، وإيتاء النبوة والحكمة، تفصيلا لوجوه الحق لعظمته من الوقوع في الخطأ >>[180]، ففضل الله سبحانه وتعالى على الناس جميعا.

ومنه قوله تعالى: { لكن اللهُ يَشْهَدُ بمَا أنْزَلَ إلَيْكَ أنْزَلَهُ بعِلْمِهِ والمَلاَئِكَةُ يشْهَدونَ وكَفى باللهِ شَهيداً } الآية 166.

بدأت هذه الآية: << {لكن اللهُ يَشْهَدُ } أي وإن كفر به من كفر به متمن كذلك وخالفك فالله يشهد لك أنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب وهو القرآن العظيم. ولهذا قال {لم أنزله بعلمه} أي فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه>>[181]

ثم ردّ العجز على الصدر في قوله: { وكَفى باللهِ شَهيداً } وذلك تأكيدا على صدق نبوته وتقديم الحجة البينة للردّ على الجاحدين.

وبعون الله سبحانه وتعالى نكون قد أنهينا الجزء الأخير من هذا الفصل.

[180] محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 197/5.
[181] ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، 590/1.

خاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على صاحب أكمل الرسالات أما بعد:

فمن خلال هذه الدراسة المتواضعة نستخلص جملة من النتائج نجملها فيما يلي:

إحتواء سورة النساء الكريمة على أحكام وشرائع تهدف إلى بناء مجتمع إسلامي قائم أسس وعقائد دينية.

أن الخبر يلقى لغرضين: فائدة الخبر ولازم الفائدة، لكن الخبر لا يقتصر على هذين الغرضين فقط، بالإضافة إلى ذلك قد يلقى الخبر لأغراض بلاغية تفهم من السياق: كالإرشاد والنصح، وإظهار الحق وغيرها.

وكذا الإنشاء الذي تناولناه بقسيمة وبصيغة المختلفة من استفهام وأمر ونهي وتمن ونداء، وحاولنا الوقوف على أهم الأغراض التي تمثل كل صيغة منها: الذم التحذير، والتوبيخ، والتكليف، وغيرها.

كما درسنا الالتفات الذي يدل على شدة مرونة اللغة العربية ومن فوائده مفاجأة المتلقي بالتنقل بين طرق الكلام (التكلم- الخطاب- الغيبة) والإشارة بذلك إلى أغراض بلاغية قصد التنبيه.

وبينت دراستنا بعض الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير عن رتبة اللفظ المقدم أو المؤخر لداع بلاغي معنوي أو جمالي، للتقوية والتأكيد والإفادة بغرض بلاغي مثل: التخصيص والتشويق وإبانة مكانة اللفظ المذكور، وتقوية الحكم.

كما ظهرت في الدراسة بعض دواعي ذكر العنصر الذي يراد الإعلام به من عناصر بناء الجملة مع إمكان فهم معناه العام لدى حذفه، وهذه الدواعي تحقق أغراضا بلاغية يهدف إليها القرآن: كالتعظيم والتفخيم، والتبرك والعبادة.

وكذا دواعي وأهم الأغراض البلاغية للحذف في سورة النساء كتقوية الحكم، والإيجاز لأن الكلام إذا تكرر فيه المعنى وإعادة اللفظ يؤدي بالمتلقي إلى الملل والنفور لما في ذلك من زيادة.

كما يذكر القصر لما له من دور كبير في تحقيق إعجاز القرآن وذلك بإظهار العلاقة القوية بين جمل النص القرآني والوقوف على أسرار البلاغة.

أما الفصل والوصل الذي حظي بكثير من الأهمية من قبل البلاغيين حتى إن كثيرا منهم أرجعوا إليه معرفة البلاغة، كالفارسي الذي قال بأن البلاغة هي معرفة الوصل والفصل، وقد قدمنا أمثلة لهذا المبحث بقسيمة من سورة النساء.

والمطلب الأخير من الفصل الثاني وهو الإيجاز والإطناب، فالإيجاز قائم على الحذف والقصر، من حذف اللفظ أو جملة أو شبهها، والقصر الذي يكمن إيجازه بأنه بمثابة جملتين في جملة واحدة، ثم الإطناب ومن جملة أغراضه التي لخصها علماء البلاغة نذكر منها: وضع الاسم الظاهر موضع المضمر، الإيضاح بعد الإبهام، ذكر الخاص بعد العام، التكرير، التذليل، التكميل، التتميم، الإعتراض.

أما الصور البيانية التي كانت مبثوثة في هذه الصورة العظيمة وذلك أن التعبير القرآني يخاطب بلغة فنية راقية باستخدام الحقيقة والمجاز بدقة متناهية نراها بعد التأمل في السورة الكريمة، وكذا الفنون البديعية التي أوجدت مكانها في القرآن المجيد من جمال للألفاظ المتعلق بالمعاني من أضداد وتقارب في الأشباه ونظائر، وكذا الأصوات وتناسقها مع معنى اللفظ.

وفي الأخير خرجنا بهذه الدراسة إلى أن الآية قد تحتوي على أساليب بلاغية عدة وهذا ما هو إلا دليل على عظم القرآن الكريم وإعجازه البلاغي.

وبهذا ينبغي على كل متعلم للغة القرآن وأدبها الإكثار من قراءة الكتب البلاغية وتفاسير القرآن لترقية كفاءته في تعميق اللغة العربية وفي فهم معاني الآيات القرآنية.

وحمدا لله ينتهي إلى رضاه، ويبلغ الحامد مناه، لما وفقني إليه من أمر هذا البحث وهو خير مستعان وموفق.

والله أسأل أن يلهمني الصواب في القول والسداد في العمل وأن يتم بعملي هذا النفع والفائدة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المصادر والمراجع:

_ القرآن الكريم، حفص، عن عاصم، ط2، 1422هـ، سوريا، دمشق.

1_ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر.

2_ إبراهيم منصور محمد الياسين، استيحاء التراث في الشعر الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين (400_ 539 هـ)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2006م.

3_ أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، الجيزة_ مصر، مارس 2005م.

4_ الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

5_ إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع، البيان، المعاني)، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

6_أيمن الشوّا، الجامع لإعراب جمل القرآن، مكتبة الغزالي، دار الفيحاء، بيروت، مكتبة الغزالي دار الفيحاء، فحامة– دمشق، ط1، 2000م.

7_ بدر الدين محمد بن محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، تونس، 2006م.

8_ أبو البركات بن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق دكتور طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى الشفا، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1980م.

9_ البغوي (أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي)، معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد الله اليمن، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، 1409هـ.

10_ أبو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، دار السلام، ط4، 2004م.

11_أبي بكر محمد بن عزيز السجستاني، غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، عني بتصحيحه وترقيته وضبط ألفاظه وتعليق حواشيه لجنة من أفاضل العلماء، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، 1963م.

12_ الجاحظ (عثمان عمر بن بحر الجاحظ)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م.

13_ابن جني(أبي الفتح عثمان ابن جني) ،الخصائص،تحقيق:محمد علي النجار،المكتبة العلمية.

14_ الحافظ عز الدين عبد الرؤوف بن رزق الله الرسعني الحنبلي، رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، دراسة وتحقيق، أ. د عبد الملك عن عبد الله بن دهيس، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط1، 1429هـ، 2008م.

15_ أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، حققه وضبط نصوصه وقدّم له الدكتور عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

16_ حسن طبل، أسلوب الإلتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، 1998م.

17_ أبي الحسن علي بن فضال المجاشعي، النكت في القرآن الكريم في معاني القرآن الكريم، تحقيق الدكتور عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

18_ أبو حسن علي الشريف الجرجاني، التعريفات، دار التونسية للنشر والتوزيع،1971م

19 _ الخطيب القزويني (جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمن القزويني)، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

20_ الدرويش (محي الدين الدرويش)، إعراب القرآن وبيانه للدرويش، دار ابن كثير، دمشق، حلبوني، ط7، 1999م.

21_ عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي، إبراز روح المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، تحقيق وتقديم وضبط إبراهيم عطوة عوض دار الكتب العلمية.

22_ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم، دمشق، حلبوني، ط1.

23_ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار ابن الحزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

24_ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط4، 1972م.

25_ الرماني، النكت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط3.

26_ الزجاج (أبي إسحاق إبراهيم بن السّدي)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق دكتور عبد الجليل عبد السنبكي، عالم الكتب، ط1، 1988م.

27_ الزمخشري (جار الله أبي القادر محمود بن عمر الزمخشري)،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه الأستاذ فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ، 1998م، الرياض.

28_ الزمخشري (جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري)،أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

29_ زين كامل الخويسكي أحمد محمود المصري، فنون بلاغية، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر، ط1، 2006م.

30_ السكاكي (أبي يعقوب يوسف بن محمد علي السكاكي)، مفتاح العلوم، حققه وقدم له وفهرسه الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

31_ سميح أبو معلي، علوم الأسلوبية والبلاغة العربية، دار البداية، عمان، الأردن، ط1، 2011م.

32_ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1972م.

33_ عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء، القاهرة، 2000م.

34_عاطف فضل محمد، البلاغة العربية، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2001م.

35_ عبد العاطي غريب علاّم، دراسات في البلاغة العربية، منشورات جامعة بنغازي، ط1، 1997م.

36_ عبد العزيز عتيق ،علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت– لبنان.

37_ عبد العزيز عتيق ،في البلاغة العربية علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت– لبنان.

38_ علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام تحقيق ط عبد الرزاق عفيفي –ط1– 1424 هـ –2003 م –المملكة العربية السعودية

39_ فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1409هـ، 1949م.

40_ الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي)، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، لبنان، 2005م.

41_ أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي الأصبهاني، الملقب بـ (قِوام السنة)، إعراب القرآن، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1995م.

42_ القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، الانتصار للقرآن، تحقيق الدكتور محمد عصام القضاة، دار الفتح للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1، 2001م.

43_عبد القاهر الجرجاني (أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، النحوي)، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5،2004م

44_عبد القاهر الجرجاني (أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، النحوي)، أسرار البلاغة في علم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

45_ ابن كثير الدمشقي (الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي)،مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، دار الجيل، بيروت.

46_ ابن كثير الدمشقي (الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي)، تفسير القرآن العظيم، حقق أصوله: طه عبد الرؤوف سعد، شرح أحاديثه عبد الله المنشاوي، القاهرة.

47_ عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، غرضه، إعرابه، مكتبة الغزالي، دمشق فحامة، ط1، 2000م.

48_ عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة.

49_ محمد الأمين بن محمد المختار الحنبكي الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن، دار عالم الفوائد.

50_ محمد الطاهر عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدارالتونسية للنشر، تونس، 1984م.

51_ محمد حسن الحمصي، تفسير وبيان القرآن الكريم، أسباب النزول للسيوطي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

52_محمد حسن عثمان ،إعراب القرآن الكريم و بيان معانيه، جمع المادة التفسيرية عبد الله عبد العزيز أمين،منشورات علاء إسحاق،دار الرسالة،القاهرة،ط1،2002م

53_ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت– لينان، ط4، 1981م.

54_ محمد وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، طبعة مزيدة ومنقحة، بإشراف اللجنة العلمية بدار الرشيد، دمشق– بيروت، ط3، 1995.

55_ محمود توفيق محمد سعد، صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم، مطبعة الأمانة، ك1، 1994م.

56_ مصطفى الصاوي البحويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1985م.

57_ مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005م.

58_ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان 1994م.

59_ الهاشمي، جواهر البلاغة، ط دون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

60_ ابن هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة الشعر، تحقيق علي محمد البحاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1952م.

61_ عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في البلاغة عند ضياء الدين بن الأثير، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية 1986م.

62_ يوسف أبو العدوس، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2007م.

الفهـــرس

_ مقدمة	أ-ج
_ مدخل	11-01
أولا – إعجاز القرآن العظيم	02
ثانيا: تعريف سورة النساء	07
ثالثا: تسميتها	08
رابعا : ترتيبها في المصحف الشريف	08
خامسا: سبب النزول	09
سادسا: فضلها	10
سابعا:الوحدة الموضوعية	10
الفصل الأول: الملامح الاجتماعية في سورة النساء	**41-12**
المبحث الأول: الجانب العرفي	13
المبحث الثاني: الجانب الديني	18
لمبحث الثالث: الجانب الأسري	32
المبحث الرابع: الجانب السياسي	39
الفصل الثاني: دراسة بلاغية دلالية 'علم المعاني'	**86-42**
_ تمهيد	43
_تعريف البلاغة	43
-لغة	43
- اصطلاحا	43
2-تعريف الدلالة	44
-لغة	44
-اصطلاحا	45

المبحث الأول: الخبر والإنشاء	45
مطلب1: الخبر	45
أولا: تعريف	45
ثانيا: أضربه	46
ثالثا: مؤكداته	46
مطلب 2: الإنشاء	48
أولا: الإنشاء غير الطلبي	49
ثانيا: الإنشاء الطلبي	49
1_ الأمر	50
2_ الاستفهام	51
3_ النهي	52
4_ التمني	53
5_ النداء	54
المبحث الثاني: الالتفات	55
_ تعريفه	55
مطلب1: الاتفات من التكلم إلى الغيبة	55
مطلب 2: الالتفات من الغيبة إلى التكلم	56
مطلب 3: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة	57
مطلب4: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب	58
المبحث الثالث: التقديم والتأخير	59
المبحث الرابع: الذكر والحذف	60
مطلب1: الذكر	61
مطلب 2: الحذف	62

المبحث الخامس: القصر	65
1_تعريف	65
2_ طرقه	65
أولا: القصر بالعطف	66
ثانيا:النفي والاستثناء	66
ثالثا:القصر بـــ (إنما	67
رابعا: القصر بتقديم ما حقه التأخير	69
المبحث السادس: الفصل والوصل	70
مطلب 1: الفصل	71
أولا_ كمال الاتصال	71
ثانيا_ شبه كمال الاتصال	74
ثالثا_ كمال الانقطاع	75
مطلب2: الوصل	77
المبحث السابع: الإيجاز والإطناب	78
مطلب 1: الإيجاز	78
_ تعريف	78
_ لغة	78
_ اصطلاحا	79
1_ الإيجاز بالحذف	79
2_ الإيجاز بالقصر	80
مطلب2: الإطناب	81
_تعريف	81
- لغة	81

– اصطلاحا	81
_أقسامه	81
1_ وضع الاسم الظاهر موضع المضمر	81
2_ الإيضاح بعد الإبهام	82
3_ ذكر الخاص بعد العام	83
4_ التكرير	83
5_ التذييل	83
6_ التكميل	84
7_ التتميم	85
8_ الاعتراض	85
الفصل الثالث: البيان والبديع	87–131
المبحث الأول: البيان	88
تعريفه	88
_ لغة	88
_ اصطلاحا	88
مطلب1: التشبيه	89
تعريفه	89
_ لغة	89
_ اصطلاحا	89
أ/ التشبيه المرسل	90
ب/ التشبيه الضمني	92
ج/ التشبيه التمثيلي	94
مطلب2: المجاز	96

-أنواعه	97
أ/ المجاز اللغوي	97
أ_1/ المجاز المرسل	97
_ علاقاته	98
1_السببية	98
2_ المسببية	98
3_ الجزئية	99
4_ الحالية	100
5_ المحلية	101
6_ اعتبار ما كان	101
7_ علاقة ما سيكون	102
8_ الآلية	103
9_ المجاورة	103
أ_2/ الاستعارة	104
_ تعريف	104
_ أقسامها	104
1_ الاستعارة التصريحية الأصلية	104
2_ الاستعارة التصريحية التبعية	106
3_ الاستعارة المركبة التمثيلية	107
4_ الاستعارة المكنية	108
ب/ المجاز العقلي	109
_ تعريف	109
ب_1/ الفاعلية	110

ب_2/ المفعولية	110
ب_3/ المصدرية	111
ب_4/ المكانية	111
ب_5/ السببية	112
مطلب 3: الكناية	113
_ تعريف	113
_ أقسامها	113
أ/ الكناية عن صفة	114
ب/ الكناية عن موصوف	114
ج/ الكناية عن نسبة	115
المبحث الثاني: البديع	117
تعريف	117
_ لغة	117
_ اصطلاحا	117
مطلب1: المحسنات البديعية المعنوية	117
1_ الطباق	117
أ/ طباق الإيجاب	117
ب/ طباق السلب	119
2_ المقابلة	120
3_ التورية	122
4_ التوجيه	123
5_ المشاكلة	124
6_ مراعاة النظير	125

مطلب 2: المحسنات البديعية اللفظية	126
1_ الجناس	126
أ/ الجناس التام	126
ب/ الجناس غير التام	127
2_ السجع	128
3_ رد العجز على الصدر	130
خاتمة	132–134
قائمة المصادر والمراجع	135–142
الفهرس	143–152

ملخص:

رسالتي موسومة "الملامح الاجتماعية في سورة النّساء دراسة بلاغية دلالية"

تضمنت شطرين:

-الشطر الأول: نظري:

تضمن الملامح الاجتماعية في سورة النّساء

-الشطر الثاني:نظري تطبيقي:

تطرقت فيه إلى الجوانب البلاغية الدلالية.وينقسم إلى قسمين:

أولا:علم المعاني

ثانيا:علم البيان و البديع

وخاتمة أجملت فيها أهم النتائج:

-احتواء سورة النّساء على أحكام و شرائع لبناء و تنظيم مجتمع مسلم.

-معرفة أهم الأغراض البلاغية للمعاني و البيان والبديع في سورة النّساء .

-احتواء الآية الواحدة على أساليب بلاغية عديدة وماهو إلا دليل على عظمة القرآن الكريم و إعجازه البلاغي.

Résumé :

Ma thèse est marquée « Traits sociaux dans la sourate

’’EN-NISSA’’ étude approfondie de la rhétorique sémantique »

Division en deux parties :

-La premier partie :théorique

Me suis dissertée sur les traits sociaux dans la sourate ’’EN-NISSA ’’

-la deuxième partie : théorique-pratique·

Me suis basée sur la pratique de la rhétorique sémantique qui scindée en deux section :

-Premièrement : science de la sémantique·

- deuxièmement : science de l’éloquence et de Badi

Et la conclusion dans laquelle j’ai réuni les plus importants résultats aux quels j’ai abouti soit :

-Le contenu de la sourate ’’EN-NISSA ‘’ repose sur les fondements d’une société islamique·

-Mettre l’accent sur les principes de la rhétorique sémantique de de l’éloquence et de Badi dans la sourate ‘’EN-NISSA ’’ ·

- Le contenu d’un seul verset englobant d’innombrable méthode rhétorique n’est autre qu’une preuve sur la grandeur du saint-coran et son miracle rhétorique ·